دراسة دلالية لأفعال الجوارح
في القرآن الكريم
وفق نظرية الحقول الدلالية

الدكتورة

دعاء السيد محمد طاهر

المدرس بقسم أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات الزقازيق

جامعة الأزهر

دراسة دلالية لأفعال الجوارح في القرآن الكريم وفق نظرية الحقول الدلالية

دعاء السيد محمد طاهر

قسم أصول اللغة كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات، جامعة الأزهر، الزقازيق، مصر.

الملخص:

تمثل نظرية الحقول الدلالية الاتجاه الثاني من البحث الدلالي، ذلك الاتجاه الذي يرتكز على دراسة مجموعة من الكلمات في حقل دلالي واحد توضع تحت لفظ واحد يجمعها.

ويعد دوسوسير رائد هذا الاتجاه، عندما لفت الانتباه إلى ما أسماه بالعلاقات الاتحادية التي توجد بين عدة وحدات كلامية، مثل كلمات: "يد، يبطش، بصر، معرفة"، وقد عرف ستيفن أولمان الحقل الدلالي بأنه: قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبر".

وعرفه ليونز بأنه: مجموعة جزئية لمفردات اللغة، وهدف التحليل في ضوء نظرية الحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معينًا، والكشف عن صلاتها، الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام، كاتحاد الكلمات التي تشير إلى الحيوانات النافعة، اتحاد الكلمات التي تدل على السكن، اتحاد الكلمات الاقتصادية، اتحاد الكلمات الاجتماعية وغير ذلك.

ونظرًا لهذه الأهمية التي انفردت بها الدلالة، تطورت الدراسات في هذا الميدان وتراكمت المناهج والنظريات التي تهدف إلى تحديد قوانين التفاهم وتسهيل إيصال الأفكار والمعاني.

ولعل من الأسباب التي جذبتني إلى اختيار هذا الموضوع ألا وهو "دراسة دلالية لأفعال الجوارح في القرآن الكريم وفق نظرية الحقول الدلالية"، لمعرفة

مدى أهمية هذه النظرية وتجلياتها المختلفة، وهو جمع كل كلمة وأختها، مما جعلها تسهم بهذا في إيجاد حلول لبعض المسائل اللغوية المعقدة.

وكان هدفي في هذا العمل المتواضع هو تقريب الصورة العلمية لكل من يبحث في هذا الميدان، وكذلك تبسيط الصورة الدلالية، لصورة علمية أيضًا.

وقد اشتمل البحث على تمهيد، ويدور حول الحقول الدلالية ومبادئ النظرية، وثلاثة مباحث وهم:

المبحث الأول: أفعال الجوارح وأثرها في الدلالة اللغوية.

المبحث الثاني: الحقول الدلالية منهج وتطبيق.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية.

والخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات ثم فهرس المصادر والمراجع.

وهذا.. فهذا العمل إن أصبت فيه فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الكلمات المفتاحية: دراسة دلالية – أفعال الجوارح – القرآن الكريم – نظرية الحقول الدلالية.

A semantic study of the actions of the limbs in the Noble Qur'an according to the theory of semantic fields

Doaa Alsayed Muhammad Taher
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Girls, Al-Azhar University, Zagazig, Egypt.

Abstract:

The theory of semantic fields represents the second direction of semantic research, that direction which is based on the study of a group of words in one semantic field placed under one word that brings them together.

Dussossier is considered the pioneer of this trend, when he drew attention to what he called the union relations that exist between several verbal units, such as the words: “hand, grasp, sight, knowledge.” Stephen Olmat defined the semantic field as an integrated sector of linguistic material, expressing a field certain piece of news.

Lyons defined it as: a partial collection of language vocabulary, and the goal of analysis in light of the theory of semantic fields is to collect all the words that belong to a specific field, and to reveal their connections, one to the other, and their connections to the general term, such as the union of words that refer to useful animals, the union of words that indicate Housing, economic word union, social word union and so on.

Due to this importance of semantics alone, studies have developed in this field, and methods and theories have accumulated that aim to define the laws of understanding and facilitate the communication of ideas and meanings.

Perhaps one of the reasons that attracted me to choose this topic is that it is a traditional origins in the semantic fields “Verbs of Prey in the Holy Qur’an as a Model”, in order to know the importance of this theory and its various manifestations, which is the collection of

every word and its sister, which made it contribute to finding solutions to some complex linguistic issues.

My goal in this humble work was to bring the scientific picture closer to everyone who searches in this field, as well as to simplify the semantic picture, to a scientific picture as well.

The research included an introduction, and it revolves around the theory of semantic fields. As for the research topics, they are six topics, and they are as follows:

The first topic: Actions of raptors and their impact on linguistic meaning.

The second topic: Semantic fields approach and application.

The third topic: Applied study.

The conclusion contains the most important findings and recommendations, then an index of sources and references.

And this.. This work, if I am right in it, is from God, and if I am wrong, it is from myself and Satan.

And the God of the intent behind

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسـلين، وبعد،،،

تعد الدلالـة من أعم مـا شغل فكر الإنسان عبر الزمن وفـي مختلف الحضارات، إذ تُعتبر أساس التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمعات البشرية، وأسـاس الرقـيّ والإزدهـار، لـذا فهـي القلـب النـابض لعلـم اللغـة ومـا غايـة الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية، إلا توضيح المعنى وإزالة الغموض، ونظـرًا لهـذه الأهميـة التـي انفردت بهـا الدلالـة، تطـورت الدراسـات فـي هـذا الميدان وتراكمت المناهج والنظريات التي تهدف إلى تسهيل إيصال الأفكار والمعاني، ومن بينها نظرية الحقول الدلالية.

ومن هنا جاء هذا البحث المرسوم "**دراسة دلاليـة لأفعال الجوارح فـي القـرآن الكـريم وفـق نظريـة الحقـول الدلاليـة**" مـن أجـل التعمُّق فـي هـذه النظريـة، وفـي محاولـة جـادَّة لتسـهل شـيء مـن لغـة القرآن الكـريم التـي تُعَدَّ ينبوعًا ثريًا تستقي منه الدراسات التي يُكتمّل بعضها البعض، وكذلك رغبة فـي دراسـة الحقـول الدلاليـة فيهـا التـي تحتمـل مـن معنـى، لمـا فـي التعبيـر القرآني من ميزة جمالية فنية خاصة.

وقد تمَّ اختيار النَّص القرآني كميدان للتطبيق دون غيره؛ وذلك بسبب كونـه كتـاب هدايـة لا يتـأتى فهمـه إلا مـن خـلال التَدَبُّر والـتمعن فـي آياتـه، فـالقرآن الكـريم هـم المعجـزة الكبـرى التـي أعجـزت العـرب، –رغـم فصـاحتهم وبلاغتهم– عن الإيتان بمثله لذلك كان من الأجدر بنا أن نقف أمام سُوَرِهِ موقف المتدبر والمتأمل من أجل المعرفة والانتفاع، وكم في ذلك خير.

ويأتي البحث لتحقيق أهداف منها: بيان الإعجاز اللغوي في السور القرآنية، وبمطالعة السياق اللغوي من خلال تطبيق نظرية الحقول الدلالية.

- تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

(١) ما الحقول الدلالية ومبادئها؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في التمهيد.

(٢) هل لأفعال الجوارح أثر في تغير الدلالة؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في المبحث الأول.

(٣) هل تتحول الدراسة اللغوية من الاتجاه التاريخي إلى الاتجاه الوصفي؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في المبحث الثاني.

(٤) هل أضافت البنية الدلالية اضافات جديدة من خلال اللسانيات الحديثة في تطبيق نظرية الحقول الدلالية؟

وكانت خطة البحث مقسمة على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة ومراجع.

أما **التمهيد**: فقد تطرقت فيه إلى تعريف الحقل الدلالي، ومبادئ نظرية الحقول الدلالية، مع بيان أنواع العلاقات الدلالية داخل الحقل المعجمي.

وأما **المباحث**: فجعلت المبحث الأول لأفعال الجوارح وأثرها الدلالية.

والثاني: عن الحقول الدلالية منهج وتطبيق من خلال التطبيق على أفعال الجوارح كنموذج في القرآن.

والثالث: الدراسة التطبيقية.

وختمت البحث **بخاتمة** احتوت على النتائج المستنبطة من خلال البحث، وفهرس للمصادر والمراجع.

ولقد اعتمدت في البحث على المنهج الوصفى التحليلي وذلك لما يحمله من مميزات تسهِّل للباحث التحرك بين المباحث، وما تخضعه طبيعة الموضوع المعالج.

والله ولي التوفيق

تمهيـد

حول نظرية الحقول الدلالية

مـن المعلـوم أن التحليـل الـدلالي لبنيـة اللغـة العربيـة مـن الأمـور الضـرورية والأساسية فـي معالجـة دلالـة الكلمـات سواء أكانـت تاريخيـة، أم مقارنة، أم تقابلية، مما أدَّى إلى ظهور نظرية الحقول الدلالية التي أصبحت تسهم في تحديد الدلالة وعناصرها بطريقة محكمة وموضوعية.

وقد نـتج عـن تطـور لا ينظـر للكلمـات كوحـدات مستقلة ولكنهـا فـي مجموعها تمثل كلاًّ مترابطًا، متناسقًا، تجمعه علاقة معينة(١).

ومن منطلق هذه الأهمية أردت أن أطبق نظرية الحقول الدلالية على أفعال الجوارح مسترشدة بالتصنيف الذي اقترحه معجم Greek New Testemant الذي يقوم على أربعة أقسام رئيسة وهي:

١- الموجودات. ٢- الأحداث.

٣- المجردات. ٤- العلاقات.

وسوف أتحدث عن نظرية الحقول (مفهومها، وأهميتها، وتطورها) فيما يأتي:

(١) علم الدلالـة، د. أحمـد مختـار عمـر، ص٧٩، علـم الدلالـة جـون لانيـز، ص٢٢، مباحث في اللسانيات، د. أحمد حساني، ص١٦٠.

نظرية الحقول الدلالية (مفهومها، وأهميتها)

أولاً: مفهوم نظرية الحقول Semantic Fields:

ذكر د. أحمد مختار عمر: "أن الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو: "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، وقد مثل بكلمات (الألوان)، في اللغة العربية التي تقع تحت المصطلح العام (لون)، وتضم ألفاظًا مثل: أحمر – أزرق – أصفر – أخضر"(١).

وعرفها استيفن أولمان بقوله: "مجموعة جزئية لمفردات اللغة"(٢).

ويرى د. عبدالفتاح البركاوي: "أن الحقل اللغوي يعنى: الدائرة العامة التي تدور في فلكها معاني الكلمات المتقاربة كمعاني الألفاظ الدالة على الألوان، أو على صلات القرابة، أو الأفعال الدالة على الحركة مثلاً، ووفقًا لهذه النظرية فإن المعنى يتحدَّد من خلال الخواص التي تبرز من مقارنة معنى لفظ بنظائره في إطار الحقل اللغوي العام، مما ينتج إبراز الخواص المتقابلة للمعاني التي لا تتشابه ولكنها لا تتماثل تمامًا"(٣).

وهذا الأمر يتطلب تحليلاً "لكل معاني الكلمات أو الألفاظ التي تخص حقلاً معينًا لمعرفة علاقاتها ببعضها، وما الرابط أو الجامع الذي جعل هذه الألفاظ تشترك في حقل واحد.

---

(١) علم الدلالة، د. أحمد مختار، ص٧٩.

(٢) علم الدلالة، ص٧٩.

(٣) مدخل إلى علم اللغة الحديث، ص١٦٥.

ثانيًا: فكرة النظرية:

تقوم فكرة النظرية على أساس جمع الكلمات أو المعاني المتقاربة ذات الملامح الدلالية المشتركة ويجعلها تحت لفظ عام يجمعها ككلمة وعاء مثلاً: يمكن أن يدخل تحتها ألفاظ مثل: (كوب – كأس – طبق....) وكلمة حيوان تضم ألفاظًا مثل: (أسد – ثور – زرافة – خروف – ذئب....)[1].

ثالثاً: أهمية النظرية:

أظهرت دراسة الحقول الدلالية فوائد قيمة ونتائج مهمة منها:

١- الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين، والعلاقة بينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.

٢- توزيع الكلمات أو الألفاظ على الحقول يكشف لنا عن الفجوات المعجمية داخل الحقل، فكثيرًا ما نجد كلمات ليس لها كلمة رئيسة تجمعها.

٣- تمدَّنا بكلمات عديدة لكل موضوع على حدة، كما تمدّنا بالمعاني الدقيقة لكل لفظ، مما يُسهِّل على الشخص اختيار ألفاظه الملائمة لغرضه.

٤- تضع مفردات اللغة في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها الانعزالية المزعومة.

٥- إن تطبيق هذه النظرية يكشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها، كما يبين أوجه الأختلاف بين اللغات بهذا الخصوص.

(١) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص٨٠.

٦- من المشكلات التقليدية في المعاجم التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي(١).

وقد حلَّت نظرية الحقول: المشكلة؛ لأن الكلمات المنتهية إلى حقول دلالية مختلفة سوف تعالج على أنها كلمات منفصلة (هومونيمي) فكلمة برتقالي تخص حقل الألوان وكلمة (برتقال) تخص حقل الفاكهة.

رابعًا: مبادئ نظرية الحقول الدلالية:

إن أصحاب نظرية الحقول الدلالية اتفقوا على جملة من المبادئ وينبغي أن تُدَاعى في إطار هذه النظرية منها:

- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
- لا وحدة معجمية تنتمى إلى حقل معين.
- لا يصح اغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوى(٢).

خامسًا: أنواع الحقول الدلالية:

أ) حقل الكلمات المترادفة والمتضادة: وهو دراسة الكلمات التي يمكن أن تكون رديفة، أو مساوية في الدلالة لكلمات أخرى، وأما الكلمات

---

(١) **الهومونيمي:** يحدث نتيجة تطور صوتي حيث توجد كلمتان تدل كل منهما على معنى ثم تتحد أصوات الكلمتين وتصبحان في النطق كلمة واحدة، مثل Sea بمعنى بحر، وSee يعنى يرى، أي: كلمات متعددة- ومعان متعددة.
البوليزمي: يحدث نتيجة تطور في الجانب الدلالي، أي: نتيجة اكتساب الكلمة لمعان جديدة مثل كلمة (عملية) التي تستعمل للدلالة على العملية الجراحية، والخطة العسكرية، أي: (كلمة واحدة- معان متعددة)، علم الدلالة، ص٨٢، ٨٣.

(٢) علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، د. حسام البهنساوي، ص٨٥.

المتضادة فالعلاقة بينها تكون على شكل تضاد، لأن النقيض يستدعي النقيض في عملية التفكير والمنطق[١].

ب) حقل الأوزان الاشتقاقية: ويطلق عليها اسم الحقول الصرفية، وهذا النوع بارز في اللغة العربية أكثر من اللغات الأخرى[٢]، ومثال هذا النوع من الحقول في اللغة العربية: صيغة (فِعَالة) -بكسر الفاء- تدل على المهن، مثل: نجارة، صناعة.

ج) الحقول السنجماتية (عناصر الكلام وتصنيفاتها النحوية): وتشمل الكلمات المترابطة عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبدًا في الموقع النحوي نفسه، مثل: (كلب – نباح)، (الفرس – صهيل)، (زهر – تفتح)... الخ[٣].

د) الحقول المتدرجة الدلالة: أي علاقة التدرج وتكون من الأعلى إلى الأسفل أو العكس[٤]، فجسم الإنسان مثلاً يتجزأ وينقسم إلى مفاهيم صغيرة (الرأس، الصدر، البطن، الأطراف العلوية والسفلية)، ثم يتجزأ إلى (اليد – الرسغ – الساعد – العضد) وهكذا[٥].

(١) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، أحمد عزوز، ص١٧.
(٢) علم الدلالة عند العرب، عادل فاخوري، ص١٨.
(٣) علم الدلالة، ص٨٠، ٨١، وينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فوزي عيسى، ص١٢.
(٤) نظرية الحقول الدلالية، ص٦.
(٥) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص١٩.

سادسًا: أنواع العلاقات الدلالية داخل الحقل المعجمي:

أ) علاقة الترادف: يعرفه فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ): الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، أي أن المعنى المقصود واحد ولكن الكلمات المستخدمة للتعبير عنه متعددة(١).

ب) علاقة الاشتمال: تُعرف هذه العلاقة بأسماء مختلفة منها: الخصوص والعموم، أو الاشتمال، أو الضمن، وأقر د/ أحمد مختار عمر: بأنَّ الاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمُّن من طرف واحد.. مثل: (فرس) الذي ينتمي إلى فضيلة أعلى (الحيوان)، وعلى هذا فمعنى (فرس) يتضمن معنى (حيوان)(٢).

ج) علاقة الجزء بالكل: مثل علاقة اليد بالجسم، العين بالرأس، والعجلة بالسيارة، والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال واضح، فاليد ليست نوعًا من الجسم، ولكنها جزء منه بخلاف الإنسان الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءًا منه(٣).

د) علاقة التنافر: هذه العلاقة ترتبط بالنفي، وتتحقق داخل الحقل الواحد إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) و(ب) لا تشتمل على (أ) أي أنَّ الطرفين لا يشتملان على علاقة التضمن(٤).

هـ) التضاد: عرَّف العرب القدامى التضاد بأنه: "أَن يتَّفق اللَّفْظ وَيخْتَلف الْمَعْنى فَيكون اللَّفْظ الْوَاحِد على مَعْنيين فَصَاعِدا"(٥).

---

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادى نهر، ص٤١٣.
(٢) علم الدلالة، ص٩٩.
(٣) المصدر السابق، ص١٠١.
(٤) علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، ص٨٢.
(٥) علم الدلالة التطبيقي، ص٤٣٠، وينظر: في علم الدلالة، محمد سعد محمد، ص١١.

سابعًا: معجم Greek New Testament:

ذهب العلماء إلى أن هذا المعجم يعد من أحدث التصنيفات التي قُدمت حتى الآن وأكثرها منطقية، حيث طَبِقت فيه فكرة الحقول الدلالية بكل دقة، فهو معجم دلالي للعهد الجديد، وقد اشتمل المعجم على تحليل خمسة عشر ألف معنى، والذي يبلغ عدد كلماته خمسين ألف كلمة وُزِّعت على ٢٧٥ مجال دلالي(١).

وعلى الرغم من قصور المعجم وعدم شمول مفرداته، وبالتالي عدم شمول مجالاته، فإنه يقدم نموذجًا جيدًا لمعاجم المجالات التي تقوم على التصنيف المنطقي والأساسي التسلسلي، وهذا المعجم يقوم على الأقسام الأربعة الرئيسة وهي:

١-الموجودات. ٢-الأحداث. ٣- المجردات.

٤- العلاقات.

وتحت كل قسم أقسامًا أصغر، ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية... وهكذا....

وقد وجدوا أن حجم الحقول يختلف من مجال إلى مجال، وأن أكبر مجال في أي لغة ذلك يحوى الكائنات والأشياء ويليه الأحداث، وأقل من ذلك المجردات، وأقل الجميع كلمات العلاقات(٢).

---

(١) مبحث في اللسانيات، د. أحمد حساني، ص١٦١، علم الدلالة د. فريد عوني حيدر، ص١٢٧، دور الكلمة في اللغة، ص٢٢٥، مجلة التراث العربية، مجلة فصيلة، محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، مقالة بعنوان: "تطور نظرية الحقول الدلالية، د. أحمد عزوز ص٧٩، العدد ٨٥، شوال ١٤٣٣هـ - يناير ٢٠٠٢م، السنة الحادية والعشرون.

(٢) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص٩٦، وأصول تراثية، ص٢٩٨.

المبحث الأول

أفعال الجوارح وأثرها في الدلالة اللغوية

- الجوارح لغة:

جرح: الجرح، الفعل جرحه يجرحه جُرحًا: أثر فيه بالسلاح، وجرَّحه، أكثر ذلك فيه(١).

الجرح: "أثر دأم في الجلد" يقال: جرحه جرحًا فهو جريح ويجرح"(٢).

ومن المجاز: جرحه بلسانه: سبَّه، وجرحوه بأبيات وأضراس إذا شتموه وعابوه(٣).

والجوارح: الصائدة من الكلاب والفهود والطيور ومفردها جارحة، وسميت جوارح لأنها تحرج لأهلها، أي تكسب لهم، ولأنها كواسب أنفسها من قولك: جرح واجترح(٤).

أما عن ورود المادة في القرآن:

فقد وردت مادة جرح في القرآن بأربع صيغ:

١) جرحتم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وتعنى هنا: ما اكتسبتم من الإثم(٥) وقيل ما كسبتم من الأعمال بالنهار(٦).

---

(١) كتاب العين (٧٧/٣)، وينظر: لسان العرب (جرح).
(٢) المفردات في غريب القرآن، ص١٩١ – ١٩٢.
(٣) أساس البلاغة، جرح.
(٤) المفردات، ص١٩٢، ولسان العرب، جرح، ومجمع البحرين: جرح.
(٥) الكشاف (٢٥/٢).
(٦) المعجم في فقه لغة القرآن (٢٧٨/٩).

٢) الجروح في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥]، وتعنى هنا: جمع جرح وهو أي أثر فيه الجسم من ضربة أو طعنة، والجرح فعل الجارح[١] وقيل: الجرح: أثر دام في الجلد[٢].

٣) الجوارح في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، وتعنى هنا: والكلاب الضواري والفهود والصقور وأشباهها"[٣].

٤) (اجترحوا) في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقيل في معناها، الاجتراح: الاكتساب، واجترح السيئة: اجتراحًا، أي: اكتسبها من الجراح؛ لأن له تأثيرًا كتأثير الجراح، ومثله: الاقتران وهو مشتق من فرق الحترحه)[٤].

أما المعنى الاصطلاحي: فقريب من اللغوي

الاجتراح عند العرب: هو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه أو سمعه أو بصره وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم[٥].

وقيل: الجرح هو العمل بالجارحة والمراد به الكسب[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٨٠/٤)، وينظر: المعجم في فقه لغة القرآن (٢٧١/٩).
(٢) التعاريف، ص٢٣٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن (١٢٣/٣).
(٤) الميزان في تفسير القرآن (١٧٠/١٨).
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن (١٧٠/١٨).
(٦) الميزان في تفسير القرآن (١٧٠/١٨).

ويقال: لكل مكتسب عملاً جارحًا، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح، ثم كثر ذلك في الكلام، حتى قيل لكل مكتسب كسبًا، بأيّ أعضاء جسمه اكتسب: "مجترِح"(١).

وقد درس العلماء موضوع أفعال الجوارح تحت مصطلح تمثيل المعاني.

قال ابن قدامة: "التمثيل: أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة عنه، كي كتب يزيد بن الوليد إلى مروان من حين تلكأ عن بيعته، أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت والسلام، فلهذا التمثيل من الموضع ما ليس له لو قصد المعنى بلفظه الخاص.."(٢).

- أفعال الجوارح في بعض اللغات الأجنبية:

إن المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي أمدت العربية بأساليب كثيرة أفادت منها العربية فائدة عظيمة، حيث لم تحص هذه الأساليب لأن جزءًا منها صار ملتبسًا بالحقيقة(٣).

ومثال ذلك:

- يضحك على الذقون II vit dans sa bare في الفرنسية.

- أفعال الجوارح والدلالة العربية:

لقد تردد في كلام الدارسين اليوم أن: "اللغة ظاهرة اجتماعية، والظواهر الاجتماعية ليست ثابتة، بل تتعرض للتغيير باستمرار، والتغيير

(١) البيان في تفسير القرآن (٢/٣٠٠).
(٢) جواهر الألفاظ، ص٧ – ٨.
(٣) دراسات في اللغة، ص٢٤٠.

يصـــيب أنظمـــة اللغـــة المختلفـــة، وإن كـــان تـــأثيره فـــي المجـــال الدلالي أكبر..."[١].

ولقد خضعت العربية لسنة التطور والتغيير، شملت أصواتها وحروفها وألفاظها ودلالاتها، وقد تتطور هذه التغيرات من أحادية إلى ثنائية أو ثلاثية[٢].

وكان من مظاهر هذا: استخدام الأفعال التي تعبر عنها الجوارح مع امتزاج الأثير البلاغي بهذا المخي الدلالي، لأن الوجوه المجازية متعددة فتعمل على تفصيل هذه المجالات المادية الحسية، وتسلك بها سبلاً طويلة تتطور الألفاظ وتتشابك المعاني[٣].

مثـال: قولـه تعـالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١].

- التحليل: الضرب الذي أداة هذا الفعل الحسي يراد به غلق الأذن، وسد منافع السمع بإرادة إلهية، ولهذا عقِّب ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) بعد ذكره هذه الآية بكلام طويل منه قوله: إن أردت أن تنقله بلفظه لم تفهمه المنقول إليه "أي: ضربنا، فإن قلت أنمناهم سنين عددًا لكنت مترجمًا للمعنى دون اللفظ"[٤].

(١) مدخل إلى علم اللغة (١٨/١٧).
(٢) من هدى القرآن، ص٩٩.
(٣) أسرار البلاغة، ص٧٨، ويراجع الصاحب، ص٢٤، ٢٥.
(٤) تأويل مشكل القرآن، ص١٦.

المبحث الثاني

الحقول الدلالية منهج وتطبيق(١)

يمكن للناظر في المصنفات العربية القديمة التي تناولت الحقول الدلالية بالدرس أن يقف على أحد منهجين اعتمدهما الأقدمون في الدراسة، والبحث هي:

١- انطلاق المدلول إلى الدوال.

٢- الإنطلاق من الدال إلى المدلول.

أولاً: انطلاق المدلول إلى الدوال:

وفيه ينطلق من الأشياء أو الموجودات أو الصفات أو الأفكار بحثًا عن مسمياتها المختلفة، ثم محاولة جمع هذه المسميات في حقول أو دوائر أو مجموعات لغوية تتميز بوجود عناصر أو سمات دلالية مشتركة.

وهذا منهج تتحول به الدراسة اللغوية المعنية من الاتجاه التاريخي المحض إلى اتجاه وصفي "ينص على أن اللغة نظام من العلاقات واكتسبت قيمتها من خلال علاقاتها بالعلامات الأخرى، تمامًا كقطعة الشطرنج التي لا تعنى شيئًا خارج قطعة الشطرنج، وإنما تتخذ قيمتها من خلال القطع الأخرى، وقد أوحت فكرة القيمة هذا اليوم بفكرة المجال الدلالي التي تُعد بمنزلة نظرية دلالية طبقًا لما دعا إليه بعض الأوربيين المحدثين من أمثال دي سوسير من وضع تحديد وصفي بنائي للمعنى"(٢).

وقد استند ابن دريد إلى هذا المنهج في الجمهرة، ومثله فعل ابن سيده في كتابه المخصص(٣).

---

(١) من خلال التطبيق على أفعال الجوارح في القرآن.

(٢) معجم اللسانيات الحديثة، ص١٢٦.

(٣) ينظر مثلاً: السفر الرابع في نعوت النساء.

وكان العسكري في كتابه التلخيص قد بلغ الغاية التي وضعها العلماء من قبله، فجعل كتابه على أربعين بابًا وكلّ باب منها على معنى من المعاني الواسعة يمثل (المتضمن الدلالي الأعلى) ثم قسَّم كل باب على فصول صغيرة في الفروع الخاصة للمعنى العام الذي بُني عليه الكتاب.

فهناك أسماء خلق الإنسان في أوصافها وذكر أخلاقه، وأسماء الآلات والأدوات، وألوان المطعومات، والمشروبات.

مثال: ذكر القرابات: بوّبه على أساس معاني الكلمات في إطار حقل دلالي يؤكد علاقاتها المتقابلة بعضها مع بعض.

من ألفاظ القرابات: الأب – الأم – الأخ – الأخت، السليل: وهو الولد كأنه سلَّ من الوالد، والنجل: الولد.

أما الثعالبي: فقد كان أكثر دقة في تصنيف الحقول الكبرى إلى حقول دلالية أصغر، مرتبًا الألفاظ داخل كل حقل ترتيبًا يحدد سماتها الدلالية التي تحدد المعنى الدقيق لكل مفرده داخل الحقل الدلالي المعين.

مثلاً: حقل الألوان[1]:يسردها أولاً ثم يرتب كل لون على حسب ما يوصف به مع اختيار أفصح اللهجات.

ثانيًا: الانطلاق من الدال إلى المدلول:

هذا المنهج خاص بالمعنى، انطلاقًا من العلاقة أو الملفوظ اللغوي بحثًا عما يؤديه من معان، أي أنه يتجه أحد اتجاهين:

أولهما: ينطلق من الدال الواحد إلى المدلولات التي يؤديها، مثال: ما جاء من الغريب في خلق الإنسان أن: الشواة: جلدة الرأس: قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[المعارج: ١٦] يعنى جلود الرؤوس.

(١) فقه اللغة وسر العربية، ص٨٠ – ٨١.

والشوى: قصب اليدين والرجلين من البهائم.

الثاني: الانتقال من المدلول إلى الدوال التي تؤدي معناه من غير ترتيب مثل باب (العقل والزكاء) يقول أبو هلال.

"والعقل والحجى والنهى بمعنى واحد، النهي: نهية، وهو ما ينهي صاحبة عن الخطأ والزلل، واللب والحجر والحصاة مثله[١].

(١) علم الدلالة التطبيقي، د. هادي نهر، ص٥٨٤ بتصرف.

المبحث الثالث

الدراسة التطبيقية

سوف أقوم بدراسة الحقول الدلالية في سور القرآن مسترشدة بالتصنيف الذي اقترحه معجم Greek New Testeament، الذي يقوم على أربعة أقسام رئيسية وهي:

١- الموجودات. ٢- الأحداث. ٣- المجردات.

٤- العلاقات

الموجودات: ويقصد بها موجودات الطبيعة التي يمكن التعرف عليها بالحواس، حيث تطلع عليها النفس وتدركها، وتنقسم الموجودات قسمين هما: [موجودات حية – موجودات غير حية].

* الموجودات الحية، وتشمل: حقل الألفاظ الدالة على البدن ويضم: (النواصي – الأقدام – وجه):

- النواصي، والأقدام:

وردت كلمتي (النواصى والأقدام) في سورة الرحمن في موضع واحد، قال تعالى: ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾[الرحمن: ٤١]، والنواصي ناصية وهي الشعر الذي في مقدم الرأس(١)، (والأقدام) جمع قدم وهو ظاهر الساق من حيث تمسك اليد رجل الهارب فلا يستطيع انفلاتًا، وفيه –أيضًا– يوضع القيد(٢).

(وجه) وردت كلمة (وجه) في سورة الرحمن غير معناها الحقيقي، حيث وردت بمعنى (ذات) الواحد الأحد، ذو العظمة والكبرياء، كقوله تعالى:

(١) التحرير والتنوير (٢٦٣/٢٧).
(٢) السابق نفسه.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، قال ابن عباس: الوجه عبارة عن الله –عزوجل– الباقي الدائم.

- **الظواهر الدلالية في حقل الألفاظ الدالة على البدن:**

باستقراء جميع الألفاظ الدالة على البدن نلاحظ ما يأتي:

توجد علاقة الجزئية بين (النواصى والبدن)؛ إذ الناصية جزء من البدن.

توجد علاقة الجزئية بين (الأقدام، والبدن)؛ إذ القدم جزء من البدن.

هناك علاقة تضمن واشتمال بين الألفاظ الدَّالة على البدن وجميع الألفاظ التي وردت في هذا الحقل، وهي: (النواصى، والأقدام).

يوجد في كلمة (وجه) انتقال دلالي، حيث انتقلت دلالة كلمة (وجه) من الدلالة على جزء من البدن –طبقًا لمعناها في الآية القرآنية الكريمة، وهذا الانتقال الدلالي لعلاقة غير المشابهة فالوجه في "الآية" عبارة عن الله –عزوجل– الباقي الدائم.

أما **الأحداث:** ويقصد بها: كل الأفعال والأعمال المادية والمعنوية التي تمارس وتمر بالإنسان، وهناك فروع عديدة منها:

الفرع الأولك العبارات: مثل يسجدان، وردت كلمة (يسجدان) في سورة الرحمن في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

التأصيل اللغوي: ذهب كثير من العلماء إلى أن كلمة (سجد) من قبيل الألفاظ المتضادة، ومن أقوالهم:

يقول الأنباري: "فالساجد: المنحنى عند بعض العرب"، وهو في لغة طئ المنتصب، والسجود في غيرهذا: الخشوع والخضوع والتذلل، كقوله جل

اســـمه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحـــج: ١٨] فسجود الشمس والقمر على جهة الخشوع والتذلل.

ويقول ابن منظور: "سجد يسجد سجودًا: وضع جبهته بالأرض"(١).

ويقول الفيروزآبادي: "سجد: وضع وانتصب، ضد"(٢).

ومن خلال ما سبق: يتبين لنا أن السجود في الجاهلية عدة دلالات – لكنها لا تخرج عن معنى عام– وهي: اسجد الرجل: طأطأ وانحنى، يقال: اسجد البعير إذا طأطأ رأسه لتركبه.

سجد: إذا انحنى وتضامن إلى الأرض(٣).

السجود: التحية التي تتضمن مشاعر الطاعة والولاء وفي ذلك يقول الأعمش:

فلمَّـا أتـاني بعيـد الكـرى سجدنا له ورفعنا عمارا(٤)

كما عرف السجود في الجاهلية للملك، أو لتعظيم إنسان، أو لإظهار الطاعة، أو الخوف من فارس شجاع(٥).

- **تعقـيب:**

حدث تطور دلالي لكلمة السجود: حيث كانت تطلق على الانحناء والتضـامن وهـي دلالـة عامـة، ثـم تطـورت دلالتهـا بمجـيء الإسـلام، وتخصصـت فـي سـجود الصـلاة خضـوعًا وعبـادة لله –عزوجـل– بهيئـة مخصوصة، وهذا التطور من باب (تخصيص الدلالة).

---

(١) لسان العرب (١٢٥/١)، مادة (س ج د).
(٢) القاموس المحيط، ص٢٨٧، مادة (س ج د).
(٣) الصـاحبي لابـن فـارس، ص٤٥، والأوائـل لأبـي هـلال العسكري، ص١٠٠، وتـاج العروس للزبيدي (٧٣/٨)، مادة (س ج د).
(٤) ديوان الأعمش، ص٥١.
(٥) لسان العرب (١٢٥/١)، مادة (س ج د).

توجد علاقة اشتمال وتضمن بين (الأحداث) ولفظ (السجود) الوارد في العقل.

- **الدلالة الحسية والمجردة لأفعال الجوارح في القرآن الكريم**

(١) جارحة العين:

يتفق العلماء والفلاسفة على أنَّ النظر من أهم الوسائل التي تفسّر للإنسان العالم المحيط به.

العين: وقد أشار الأطباء من الفلاسفة المسلمين إلى أن العين هي آلة الأبصار من ناحية تشريحية، وذكر الجرجاني في تعريف البصر أنه: "القوة المودعة في العصبتين المجَوَّفتين اللتين تتلافيان فتأويان إلى العين لتدرك بها الأضواء والألوان والأشكال"(١).

وقد ربط الفلاسفة أفعال جوارح الإنسان عامة وجارحة البصر خاصة بالمعاني المعنوية العقلية المجردة، واستدلوا على ذلك بدلائل كثيرة يثبتها القرآن، وبالمقارنة حتى مع التفسيرات العلمية الدقيقة لأفعال الجوارح عامة وأفعال العين خاصة، نجد أن هناك ترابطًا بين ما قاله الفلاسفة المتزنون وبين الحقائق العلمية، والنفسية في العلوم الحديثة من جهة، وبين ما حضَّ عليه القرآن الكريم أيضًا من جهة أخرى، أمر القرآن الكريم بإحسان استعمال السمع والبصر والعقل حتى يهتدي الإنسان عن طريقها إلى الحق والحقيقة، ويكون الحق واضحًا عنده والحقيقة ثابتة لديه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

التحليل: ففي هذه الآية الجامعة أصول رئيسة هي المتبعة في أصول النظر العلمي، فلقد أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح، وأن على

(١) موسوعة جسم الإنسان، زينب حبيب، ص٦٢.

الإمسان أن يتمسك ما يصل إليه من حق أو حقيقة على هذين الطريقين: المشاهدة والتفكير (١).

ونجد أن منهج القرآن في الدعوة إلى التبصُّر والتفكُّر في آياته: فألفاظ البصر في بعض آيات القرآن دعوة إلى النظر، ومن ثَمَّ التفكر للوصول إلى عظمة الله، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

أما منهج اللغويين: في تفسير معنى النظر الذي تتعاقب عليه الدلالة الحسية والدلالة المعنوية، إذ يقول ابن منظور في معنى النظر: "النظر حس العين، وتقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين والقلب، وفيما نقله أيضًا عن ابن إسحاق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، معناه: وأنتم ترونهم يغرقون، يجوز أن يكون معناها –وأنتم تشاهدون وتعلمون ذلك، وإن شغلهم على أن يردهم في ذلك الوقت الشاغل(٢).

إذًا تتضافر جوارح الإنسان وعقله في ما نرى لإدراك المعارف التي تجعلنا نؤمن بعظمة الخالق، ولذلك نرى أن الفلسفة المتّزِنة تتماشى مع معطيات العلم وتوافق الدين أيضًا، وشاهد ذلك: أن كثيرًا من العلماء غير المسلمين ممن بحثوا وتوصَّلوا إلى نتائج مذهلة حيّرت أبصارهم وعقولهم لم يجدوا أمامهم إلا الإسلام والتوحيد والإيمان بأن هناك خالقًا عظيمًا يدير الكون، وفي الوقت نفسه أن الإنسان ليس بحاجة دائمًا لأنه يكون عالمًا ليتفكر ثم يؤمن، فالأعراب وقبلهم الإنسان البدائي آمن بعظمة خالقه

(١) مقام العقل عند العرب طوقان قدري، ص٢١.
(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢١٧/٥)، مادة (ن ظ ر).

باستخدام حواسه عندما نظر إلى السماء ثم نظر إلى نفسه نظرة بسيطة، سُئِل أعرابي عن الدليل على وجود الصانع (الله) فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الصانع الخبير"[١].

(٢) جارحة السمع:

البصر من أهم الحواس التي أنعم بها الله على الإنسان، فنجد أنهم اختلفوا أحيانًا في أيتهما هم السمع والبصر في عملية التعلم، أما القرآن الكريم فقد قرن السمع والبصر في آيات كثيرة نظرًا لأهميتها وآلة السمع هي الأذنان، وتتمثل حاسة السمع في الأذن بأقسامها الثلاثة: الخارجية أو ما يُعرف بالصوان والوسطى والداخلية بما في ذلك عصب السمع الذي ينقل الأصوات على نحو معين إلى الجزء المختص لمعالجة اللغة من الدماغ، ويمثل الصوان مرآة مقعرة تعمل على جمع أكبر قدر ممكن من الذبذبات الصوتية، أو هوائي محضة أقمار صناعية أو كأنه عدسة لامة، وتبارك الله أحسن الخالقين[٢].

يركز علماء اللغة على أهمية حاسة السمع في عملية التعلُّم ويرون أنّها المكمّلة لجهاز النطق، يقول أ. يحيي في كتابه اللغة والحواسى: "... وجدير بالذكر أن العرب اشتقت من الأذن مفردات أوقعتها على معاني العلم والأعلام ونحوهما وتوجيه ذلك أن عملها السمع هو سبيل الإنسان إلى العلم، وهو الأصل في العملية اللغوية، والمكمل لجهاز النطق حيث يجعل

(١) التكامل في الإسلام، أحمد أمين (٢٣/١).
(٢) اللغة والحواس، يحيي جبر، ص٧٤.

للألفاظ المنطوقة قيمة ودورًا ذلك أنه لا قيمة لجهاز النطق في الإنسان ما لم تكن هناك آذان تسمع....."[١].

الأذان في اللغة، ورد في التعريفات للجرجاني: "مطلق الإعلام"، وفي الشرع: "الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مأثورة" والإذن في اللغة: الإعلام، وفي الشرع: فلو الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعًا شرعًا"[٢].

وقد ورد معنى السمع في اللغة: قال ابن منظور في تعريف السمع: "حسن الأذن"[٣]، أما السمع المعنوي الذي ورد بالدلالة المجازية في اللغة يأتي بمعنى: الفهم والعلم، وقد ذكر الزبيدي: على سبيل المثال: أن السمع يأتي بمعنى الفهم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[الأنفال: ٢٣] إذا يقول في معنى أسمعهم: أي أفهمهم بأن جعل لهم قوة يفهمون بها[٤].

وقد توصل ابن سينا إلى: "الصوت ينتج عن تأثير الموجات الهوائية، أو على حسب اصطلاح ابن سينا أن الصوت عارض معرض من حركة الهواء المتموج"[٥].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ – ١٠] فالله خلق هذه الجوارح للإنسان ليتبين بهما طريق الخير

(١) اللغة والحواس، يحيي جبر، ص٧٤، ٧٥.
(٢) التعريفات للجرجاني، ص١٥.
(٣) لسان العرب (١٦٤/٨)، مادة (س م ع).
(٤) تاج العروس (٣٨٨/٥)، مادة (س م ع).
(٥) الإدراك الحسي عن ابن سينا، نجاي، ص١١١.

والشر، فالاستفهام تقدير، أي: جعلنا له عينين ولسانا وشفتين، وهديناه النجدين، أي: بينَّا له طريق الخير والشر(١).

أما القلب هو المتعلق بجوهر النفس، وبواسطة القلب يتعلق بسائر الأعضاء، نراه يؤكد على أن أهمية السمع في معرض ذكره احدى اللطائف اللغوية على حد تعبيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فهذه الآية دالة بصريحها على أن محل الذكر والفهم هو القلب.

فهذه الآية مشتملة على لطيفة عجيبة، إلا أن بيانها بتقديم سؤال فإنه يقال: إن الواو العاطفة أليق بقوله: "وألقى السمع" من الواو القاسمة، وذلك لأن حصول الذي لابد فيه من مجموع أمرين: "لابد فيه من القلب، ولابدَّ فيه من إلقاء السمع، عبارة عن الجسد والاجتهاد في تحصيل تلك الإدراكات والمعارف، ومعلوم أنه لابدّ من أمرين معًا فكان ذكر الواو القاسمة هنا أليق من ذكر الواو العاطفة"(٢).

إذًا هو يجعل السمع والقلب شريكين في حصول الذكرى والإدراك مما يدلَّنا على إكبار العالم لحاسة السَّمع من خلال تفسيره الآية الكريمة إنه السمع الذي يفتح المدارك والعقول، السمع الذي يتطلب منا الجد والاجتهاد، وإلا فإن السمع لا طائل منه ويصبح الإنسان كالأصم كما عبَّر عن ذلك القرآن الكريم، وهذا ما ذكرته المعاجم اللغوية في معنى ألفاظ السمع المعنوية.

يُلاحظ: أن أهمية الحواس ودورها في الإدراك، وبالتالي اكتشاف قوانين الحياة التي نسعى إلى اكتشافها، فاللغويون يناقشون السمع والبصر

(١) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، ص٥٨٩.
(٢) كتاب النفس والروح وشرح قواهما للرازي، ص٥٢.

في القرآن الكريم بدلالاتها المعنوية، والمجازية بلغة وأفكار تلتقي مع أفكار الفلاسفة المسلمين إلى حد كبير في آرائهم حول ارتباط الحواسي بالعقل الإنساني.

(٣) جارحة الفم واللسان:

يقترن الفم واللسان لدى الإنسان في الموقع كما يشتركان في الأداء الوظيفي لبعض أفعالهما، ومن هنا جاء وضع هاتين الجارحتين في عنوان واحد، وقد جاء تركيز الفلاسفة على تناول جارحة اللسان بفعلهما الأساسين وهما النطق والذوق، ولم يتناولوا أفعال الفم الأخرى كما رأينا عند اللغويين الذين تناولوا أفعال اللسان والفم على حدّ سواء.

إن اللغويين تناولوا أفعال اللسان في جانبي الذوق والكلام، وبذلك يلتقون مع آراء الفلاسفة في بيانهم الدلالات الأصلية الخاصة بتلك الجارحة، مع تركيز اللغويين على الجانب المجازي لأفعال هذه الجارحة خاصة أن ألفاظ أفعال جارحة اللسان في القرآن الكريم كثيرًا ما انتقلت إلى الدلالة المجازية.

فالنطق عند الزبيدي: "... ينطق بالضم تكلم بصورة.. والنطق الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الأذان"(١).

واللسان يطابق معنى الذوق في اللغة، كما يذكر ابن منظور بأن: "... المذاق طعم الشيء، والذواق هو المأكول المشروب"(٢).

ويربط أخوان الصفا أفعال اللسان بحاسة الذوق التي يرون أن وظيفتها تميز الطعوم المختلفة: "وأما كيفية الذائفة لمحسوساتها التي هي الطعوم حسب، وهي تسعة أنواع أولها الحلاوة الملائمة لمزاج اللسان،

(١) تاج العروس (٧٦/١) مادة (ن ط ق).
(٢) لسان العرب (١١/١٠)، مادة (ذ و ق).

والثاني: المرارة المنافرة لمزاج اللسان، والثالث: الملوحة، والرابع: الرسومة، والخامس: الحموضة، والسادس: الحراقة، والسابع: العفوصة، والثامن: العذوبة، والتاسع: القبوضة، فإدراكها هو أن تتصل رطوبة هذه الطعوم برطوبة اللسان فتمتزجان فيعتبر مزاج اللسان بحسب ذلك الطعم إن كان حلوًا فحلو وإن كان مرًا فمر..."(١).

فطعم في اللغة –على سبيل المثال– لفظة تدل على وظيفة الحاسة كما عند الفلاسفة يذكر ابن فارس: أن طعم أصل مضطرد مقاس في تذوق الشيء(٢).

أما اللغويين: نجد هذا الثراء في دلالات ألفاظ أفعال اللسان الخاصة بالنطق وكذلك العمق في الدلالة، وذلك التطور في مسيرة اللفظة الدلالية، ولابدّ أن يكون كل ذلك نتيجة عمل عقل الإنسان وفكره في صناعة الألفاظ بدلالاتها المختلفة.

يقول عز الدين: "فاللغة –لصلتها– بالفكر – ميزة إنسانية، لذلك فإن تعلمها في فترة الطفولة يتم بتدخل ملكة فكرية يولد بها الطفل، إنَّ اللغة ليست أصواتًا غريزية حتى يكفى في تعلمها العامل الشرطي الذي يستخدم لتلقين أنواع من الحيوانات بعض الكلمات، بل هي مصطلحات ومعانٍ تحتاج أثناء تعلمها، وتلقّي دلالتها قوة فكرية سابقة، يدرك بها الطفل الصلة بين الدال والمدلول واللفظ ودلالته"(٣).

وإنما كان يحمل في كل مرة معنى يختلف عبدالمعنى الذي تحمله اللفظة الأخرى، يدرك ذلك العقل المفكر المتدبر لمعاني القرآن العظيم، وفي

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، ص٤٠٧.
(٢) مقاييس اللغة (١٥٤/٣).
(٣) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، توفيق، ص٢٨٢.

سياق هذا التنوع يرى بعض الفلاسفة: أن الكلام كالطَّعام يتفاوت بتفاوت ألفاظه وكلماته، ولذلك يُقال لكل مقام يقول كشاس: "لذة الكلام تُدرك كي يدرك لذيذ المأكل فبعض الأطعمة تكسب الرطوبة في اللسان وتنعكس انتعاشًا في الأبدان ومن الأطعمة الكلامية التي تبعث الرطوبة "ذكر الله" قال معاذ: قلت: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله"(١).

(٤) جارحة اليد والقدم:

هناك دلالات لغوية في ألفاظ اليدّ خاصة، وهي تحمل المعاني المعنوية أكثر من احتمالها المعاني المادية، وذلك لأهميتها بالنسبة للإنسان، فاليد: "تتحرك بفضل عظامها المتعددة وبفضل المفاصل الموجودة في الكتف والكوع والسلاميات وبفضل توزيع العضلات على هذه العظام توزيعًا مزدوجًا.. وبفضل الأعصاب التي تتخلل اليد ثم بفضل الموقع العام في الجزء الأعلى للجسم، وأخيرًا بفضل عضلات وعظام الجسم كله، لكن اليد في ذاتها بسيطة، ولبساطتها فهي آلة رائعة لأن بساطتها لا تعكس بساطة أعمالها فهي تحس وتعمل في آن واحد، ومفاصلها وأصابعها الخمس، وموقع الإبهام مقابل الأصابع الأربع الأخرى جعلها تتكيف مع أشق الأعمال وأدقَّها، فأستعملت الفأس والمطرقة مثلما استعملت السيارة والطائرة، إنها تستطيع أن تسرق وتقتل، كما تستطيع أن تنفق وتبذل، وتستطيع أن تبذر الحبوب كما تستطيع أن تلقي القنابل، وتستطيع أن تلتقي الضربات عن الجسم فتحميه.. كما تستطيع أن تهدّد فتعبر عن مشاعر الرغبة في الانتقام تستطيع توصيل الطعام إلى الفم(٢).

---

(١) اللغة والحواس، كشاشي، ص١٠٥.

(٢) دليل الأنفس في القرآن الكريم والعلم الحديث، توفيق، ص٢٨٨.

يُلاحَظ: أن كل المعاني السابقة التي ساقها عز الدين وحملتها دلالات ألفاظ اليد في آيات القرآن الكريم، نجد أن ألفاظ اليد التي وردت في الآيات القرآنية، ما تشابه في دلالته مع اختلاقات دقيقة عدَّها اللغويون من باب المترادف، وغلب على ألفاظ هذه الجوارح الدلالة المجازية.

١) مثال: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

[الإسراء: ٢٩].

- التحليل: أصل البسط: النشر والتوسعة، فجاء بسط اليد كناية عن الإنفاق، وجاء الغل كناية عن البخل.

وذكر الزبيدي: أن البسط في اليد من باب المجاز إذ قال: بسط إلىّ يده بما أحب وأكرها (مدها).

٢) مثال قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وكذلك بسط أجله وهو مجاز، وكذلك قبض يده ورجله، وأصل البسط: النشر وما عداه يتفرع عليه(١).

أما القدمان: فإن أهميتها كبيرة بالنسبة للإنسان، وتميز الإنسان عن الحيوان بأنه يمشى عليهما كما هو معلوم وفي كل جارحة من جوارح الإنسان ميزة تميزه عن سائر المخلوقات، وقد ذكر ابن منظور هذه الدلالة الوظيفية لحاسة اللمس في مادة "لمس" الحس، وقيل: المس باليد"(٢).

فاللمس يأتي بمعناها الحقيقي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧] أي:

(١) تاج العروس (١٠٥/٥) مادة (ب س ط).
(٢) لسان العرب (٢٠٩/٤) مادة (أ ن س).

مكتوبًا في ورق كما اقترحوه فلمسوه بأيديهم أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين تعنتًا وعنادًا(١).

إذن تتركز لاقطات اللمس في الأنامل أكثر منها في أماكن أخرى في الجسم، وقد أشار إخوان الصفا إلى ذلك.

ولذا نجد أن ألفاظ القرآن الكريم الخاصَّة بحاسة اللمس تعبر عن ذلك سواء أحملت هذه الألفاظ الدلالة الحقيقة أم المجازية، كما يذكر اللغويون والمفسرون، فاللمس والمس مثلاً متشابهان، ولكن اختلافات طفيفة بينهما من ناحية الدلالة والشعور، وابن سينا يذكر ذلك أيضًا فيقول: "إن الجلد يختلف في شدة حساسيته في الأجزاء المختلفة من الجسم بالنسبة إلى مقدار اعتدال مزاج هذه الأجزاء، فما كان مزاجه أكثر اعتدالاً كانت حساسيته أقوى، ثم نقول: ".... اللحم أقرب الأعضاء من الاعتدال وأقرب منه الجلد وأعدل الجلد جلد اليد، وأعدل جلد إليه جلد الكف، وأعد له جلد الراحة، وأعد له ما كان على الأصابع وأعدله ما كان على السبابة، وأعدله ما كان على الأنملة منها، فلذلك هي وأنامل الأصابع الأخرى تكاد تكون الحاكمة في تقدير الملموسات(٢).

ونجد أن ألفاظًا تتعلق بجارحة اليد، وردت في القرآن الكريم ترتبط من الناحية اللغوية والدلالية، قال تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ – ٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء:٤٣].

الآية الأولى يحمل المسّ فيها الدلالة المحسوسة الخاصة بالجارحة، واللمس في الآية الثانية يحمل دلالة مجازية تعنى الجماع.

(١) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، ص١٤٠.
(٢) الإدراك الحسى عن ابن سينا، نجاتي، ص٨٨.

وقد يرتبط هذا النوع الدلالي بتعدد حواس اللمس التي ذكرها ابن سينا.

- المجموعات الدلالية تصنيف وتحليل:

استخرجت نماذج ألفاظ الجوارح الواردة في القرآن الكريم، وقد آثرت الابتداء بألفاظ جارحة العين وذلك لما للبصر من دورها في حياة الإنسان، وفي بناء معارفه وحضاراته، وقد وردت ألفاظ تحمل دلالات فعل العين في القرآن الكريم في مواضع عدَّه، منها يحمل دلالة الإبصار (المشاهدة، ومنها يتجاوز إلى دلالات أخرى.

وقد عبَّر العلماء عن فعل العين عادة البصر التي عرّفوها بما يلي: "فالبصر حاسّة آلتها العين وهو عضو متجوف كروى الشكل يتألف جدارها من ثلاث طبقات الخارجية ليفية والوسطى وعاتبة الداخلية عصية"(١).

وعندما نتناول ألفاظ العين في القرآن الكريم، نريد بها الدلالة الفسيولوجية التي حملتها عن فعل الإبصار، أو الدلالة المجازية العقلية المجردة التي تحمل معنى العلم كما أوردها علماء اللغة والمفسرون، وقد تحدَّث العلماء عن أهمية حاسة البصر والسمع وارتباطهما بالعلم والمعرفة التي يكتسبها الإنسان بواسطة فعلها الحيوي: "وإدراك المرئيات إنما يكون بما ترسله من أشعة تنتهي إلى العين وينتهي أثرها إلى الدماغ، ولا عجب أن تكون معظم الألفاظ والمسميات وأغراض تدرك بالعين دون سواها، وذلك أن المسميات لا تصدر عنها أية إشارات تدل على وجودها غير الأشعة، وهي مما يدرك بالعين وهي ترسل ذبذبات صوتية فتدرك بالسمع، وقد تفرز رائحة فتدرك بالشم.

(١) اللغة والحواس يحيي جبر، ص٣٠، ٣١.

لكن مجال العين يظل أفسح وأكبر وبالتالي يظل عدد التي سمَّى لها الذوات لعلاقة كحاسة البصر أكبر، ولعلَّ أبرز ما ينافس العين هي الأذن، وهي أداتا الإدراك الحسي الرئيستان في الحياة، ولذلك رأينا القرآن الكريم يكثر التركيز على السمع والأبصار وفضلهما(١).

يذكر الزمخشري معنى فعل العين بتلك الدلالة المادية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

- التحليل: إذ يقول: ".... هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظرية تدرك المبصرات، والمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه الآن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو نابعًا كالأجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار بلطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر التى لا يدركها مدرك(٢).

أولاً: ألفاظ أفعال العين:

(١) أنس: ورد الأصل اللغوي "أنس" في القرآن الكريم مزيدًا بالألف "أنس" لتفيد معنى أبصر، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: ١٠]

وذكر ابن منظور في لسان العرب: "آنست" بمعنى أبصرت بدليل النار، التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ فالنار لا تدرك إلا بالبصر"(٣).

---

(١) اللغة والحواس، يحيي جبر، ص٣٠، ٣١.
(٢) الكشاف (٢/٥١ – ٥٢).
(٣) لسان العرب (١/١٢) مادة (أ ن س).

وتتفق المصادر المعجمية على هذه الدلالة لمادة "أنس"، فأنس أصل واحد وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف التوحش، يقال "آنست" الشيء إذا رأيته(١).

هذا ما أورده ابن فارس كما ذكر الزبيدي في تاج العروس لمادة "أنس" قوله: "وآنس الشيء إيناسًا: أبصره ونظر إليه وبه فَسَّر قوله تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩].

وتتبادل ألفاظ الجوارح دلالالتها في المصادر اللغوية والأدبية لتدل لفظة "آنس" على معان أخر منها: الإحساس والسمع، ولا غرو في ذلك".

وقد أورد علماء اللغة هذه المعاني في ثنايا معاجمهم: "فآنس" الشيء: أحسَّهُ(٢) وآنست الصوت أي: سمعته(٣)، إلا أن البصر أبلغ من الإحساس وحده، قلنا أن نُحس بجميع الحواس، ولكن البصر يأتي مؤكدًا للإحساس وشاهدًا عليه.

وقد ذكر العلماء أن "آنس" تأتي بمعنى العلم، ومما وجدته في استقراء دلالات ألفاظ هذه الجارحة أن الدلالة اللغوية لأكثر ألفاظها تسير في تطورها الدلالي، وفي تعاقبها على المعاني والدلالات المختلفة من المعنى المادى الملموس إلى المعنى العقلي المجرد.

وذكر ابن منظور أن "آنس" الشيء: علمه/ يقال: آنست منه رشدًا، أي: علمته(٤).

---

(١) مقاييس اللغة (١٤٥/١)، مادة (أ ن س).
(٢) تاج العروس (١٠٠/٤)، مادة (أ ن س)، ويراجع لسان العرب (١١٥/١) مادة (أ ن س).
(٣) السابق.
(٤) لسان العرب (١٥/١)، مادة (أ ن س).

ولنا أن نتحسَّس الدلالتين في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

ذكر الزمخشري في معنى "آنستم" في تفسير هذه الآية في كشافه: أن الإيناس بمعنى "الإبصار البيّن الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء، والإنس لظهورهم، كما قيل الجن لاستتارهم، وقيل هو أبصار ما يؤنس به لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعًا متيقنا(١).

وذكر العلماء: أن كل ما يؤنس به "هو من هذا الباب، ونقل الزبيدي عن ابن الأعرابي: "الأنيس" كل ما يؤنس به، و"الأنيسة" النار كالمأنوسة لأن الإنسان إذا آنسها سكن إليها وزالت عنه الوحشة، أو جارية "آنسة" طيبة النفس تحبُّ قربك وحديثك والجمع آنسات وأوانس(٢).

ومن قبيل ما تقدم: ما أورده الزمخشري في أساس البلاغة من أن "الأنيسة": النار والمؤنسات: الأسلحة لأنهن يؤنس الإنسان ويهين يطمئن قلبه(٣).

وقد ورد هذا الأصل اللغوي مزيدًا في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾[النور: ٢٧].

– التحليل: فقد ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية: "تستأنسوا" فيها وجهان:

أحدهما: من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى حتى يؤذن لكم وهذا من باب

(١) لسان العرب (١/١٥)، مادة (أ ن س).
(٢) تاج العروس (١/١٠٠)، مادة (أ ن س).
(٣) أساس البلاغة، ص١٩، مادة (أ ن س).

الكناية والأرداف؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الأذن فوقع موقع الإذن(١).

والثاني: يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف: استفعال من "أنس" الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا، والمعنى حتى تستكشفوا، الحال، ويجوز أن يكون من الأنس، وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان بإذن يحتمل أن تدل كلمة "تستأنسوا" على ما يتعلق بحاسَّة البصر، أو السمع على وجه آخر، أو ترتبط بمعنى آخر بعيد عن الحواس وهو الأنس.

– نستنتج من الدلالات اللغوية لمادة "أنس":

أنها لفظة تنصرف لدلالة تقع على معنى الحسّ الذي يشمل السمع والبصر وغيرهما، وأن الأصل هو البصر.

(٢) بَصُرَ:

قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ذكر الزمخشري: أنه هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر(٢).

ذهب ابن الأثير فيما نقله عنه ابن منظور أن "البصر" في أسماء الله الحسنى "البصير"، هو الذي يشاهد الأشياء كلَّها ظاهرها أو خافيها بغير جارحة، والبصر في حقه عبارة عن العين التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات(٣).

(١) الكشاف (٣/٢٢٠).
(٢) الكشاف (٣/٢٢٠).
(٣) لسان العرب (٤/٦٤)، مادة (ب ص ر).

وفيما أورده عن الليث في معنى البصر "العين" إلا أنه يُذكر وقيل حاسة الرؤية، وفيما نقله عن ابن سيده "البصر" حسن العين والجمع أبصار.

أما فعل "بصر" به وأبصره وتبصره "وأبصر به" كلَّها، كما ذكر ابن منظور بمعنى نظر إليه هل يبصره، وأبصرت الشيء: رأيته، ورجل بصير، مبصر الضرير(١).

وذكر الزبيدي أن "البصر" محركة العين إلا أنه مذكر، وقيل: "البصر" حاسة الرؤية وفيما نقله عن محكم ابن سيده "البصر" حسُّ العين والجمع أبصار"(٢).

ومن باب جمال هذه اللغة إطلاق لفظ "البصير" على الأعمى من باب التفاؤل ذكر ابن منظور: عن أبي عبيد قول رسول الله ﷺ: "ذهب بنا إلى فلان البصير، وكان أعمى، فيذكر أبو عبيد يريد به المؤمن، ونقل عن ابن سيده، وعندى أنه –عليه السلام– إنما ذهب إلى التفاؤل إلى لفظ لَفْظَ البَصَرِ أحسنُ من لَفْظِ العَمَى(٣).

– العلاقة: ويعدُّ ذلك من باب الأضداد في اللغة، تفاؤلاً وتجمُّلا وتأدبًا في خطاب من ابتلاه الله بفقد حبيبته اقتداءًا بقدوتنا ومعلنا الأول محمد ﷺ.

(١) لسان العرب، (٦٤/٤) مادة (ب ص ر).
(٢) تاج العروس (٤٧/٤) مادة (ب ص ر).
(٣) لسان العرب (١٥/٤) مادة (ب ص ر).

- البصر بمعنى العلم:

وتأتي هذه المادة اللغوية لتحمل المعنى العقلي المجرد وهو العلم، ذلك أن "البصر" أداة العلم ووسيلته التي تمكن الإنسان من إدراك الأشياء ورؤيتها، مثال: قال تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦].

- التحليل: ذكر ابن منظور في معنى "بصر" لهذه الآية، أي: علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا إليه(١).

وفيما ذكره أيضًا صاحب التاج: أن "البصر" من القلب نظره وخاطره، و"البصرُ" نقاءُ في القلب كما في اللسان، وبه فُسِرت الآية: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

ولا يكاد يقال للجارحة: الناظرة "بصيرة" إنما هي "بصر" وقلَّما يقال في الحاسة إذا لم تضف رؤية القلب "بصرت به" وفيما نقله عن اللحياني وأنه بصير بالعينين و"البصير": العالم.. وبصرت الشيء علمته، واستشهد بقوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦](٢).

وذكر أصحاب المعاجم اللغوية معاني هذه المفردة بأبنيتها وصيغها المختلفة لتحمل دلالات عقلية أخرى وتخرج إلى مجازية أحيانًا، ونجد ذلك أيضًا في كتب التفسير "فالبصير" هو العالم(٣)، كما أورد صاحب اللسان وغيره من علماء اللغة.

والتبصُّر: التأمل والتعرُّف(٤)، والبصيرة وردت في القرآن الكريم بمعنى الحجج البيّنة.

---

(١) لسان العرب (٦٦/٤)، مادة (ب ص ر).
(٢) تاج العروس (٤٧/١، ٤٨)، مادة (ب ص ر).
(٣) لسان العرب (٦٦/٥)، مادة (ب ص ر).
(٤) المصدر السابق (٦٦/٤)، مادة (ب ص ر).

قـــال تعـــالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

- التحليل: وذكر الزمخشري في كشافه في معنى "هذا بصائر" هذا القرآن "بصائر" أي حجج بَيِّنة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب(١).

وذكر صاحب أساس البلاغة: دلالات مجازية أخرى لهذه المادة، ومن المجاز: هذه الآية "مبصرة" وأبصرت الطريقة: استبان ووضح، واجعلني "بصيرًا" عليهم، أي: رقيبًا وشاهدًا وأما لك "بصيرة" في هذا الرأى: عبرة.

وفي "البصر" المادي المحسوس لمعنى هذا الأصل اللغوي ما ذكره ابن فارس: "الباء والصاد والراء" أصلان أحدهما العلم بالشيء، يقال هو "بصر به"، ومن هذه البصيرة والقطعة من الدم: إذا وقعت بالأرض: استدارت.

والبصيرة: البرهان، ويرى أن أصل ذلك كله الوضوح، فقطعة الدم إذا استدارت: وضحت وهذا هو المعنى المتعلّق بوضوح الرؤيا المادية المعنوية.

(٣) رأى:

ورد الأصل اللغوي لـ "رأى" في القرآن الكريم في مشتقات ومعان مختلفة تحمل في دلالتها البُعدين: البعد المادى للرؤية والبعد القلبي العقلي، فالجانب المادي هو النظر بالعين، والعقلي هو النظر بالقلب والعقل.

ذكر ابن منظور: "فرأى" تعنى الرؤية بالعين فتتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين.

---

(١) الكشاف (١٨٤/٢).

قال ابن سيده: "الرؤية: النظر بالعين والقلب، ارتأيت واسترأيت بمعنى: رؤية العين[١]، "ورأى" أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة[٢].

والرؤية: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس.

وأورد علماء اللغة في معاني هذا الأصل اللّغوي الملموس "أرب" الأرض بمعنى أبرت أول ما يلوح شيء من النبات"[٣].

والرئى: كما نقله ابن منظور عن الأخفش: "الرِّي: ما ظهر عليه مما رأيت"، وذهب الجوهرى فيما نقله عن ابن الأثير فيمن قرأه بالهمزة: من همز جعله من المنظر من رأين وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهره، ومن لم يهمز إما أن يكون على تخفيف الهمز أو يكون من رُيت ألوانهم وجلودهم، أي: امتلأت وحست[٤].

ومن هذا الأصل اللغوي أخذ لفظ "الرياء" أو "المراءاة" كما في قوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢][٥]، ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦ – ٧]، فقد أورد الزمخشري في كشافه معنى المراءة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ "فإذا قلنا: ما معنى المراءاة، قلت: هي مفاعلة من الإراءة لأن "المرائي" يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل "مرائيًا" بإظهار العمل الصالح إن كان

(١) لسان العرب (٩١/٤)، مادة (ر أ ى).
(٢) السابق نفسه.
(٣) أساس البلاغة، ص٢٦٦ مادة (ر أ ى).
(٤) لسان العرب (٩١/١٤-٩٦) مادة (ر أ ى).
(٥) "يراءون الناس": سورة النساء، الآية (١٤٢)، والقراءة في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤٢٠هـ=١٩٩٩م)، المحتسب (٢٠٢/١).

فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها، وإنما "الرّياء" يقصد بالاظهار أن تراه العين فيثني عليه بالصلاح"[١].

- رأى بمعنى عرف وتبصّر:

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[الماعون: ١]، ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية، "(أرأيت) بمعنى: هل عرفت الذي يكذب من هو"[٢].

وفيما نقله صاحب التاج عن الجوهري في معنى "(نظر) نظر إلى الشيء: تأمله بعينه، و(النظر) أيضًا: تقليب البصر لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به الفحص والتأمل، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، أي: تأَمَّلُوا، واستعمال (النظر) في البصر أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، ويقال: نظرت إلى كذا وكذا، إذا مددت طرفك إليه أم لم نره، ونظرت إليه: إذا رأيته وتدبرته"[٣].

ونرى الجذور المحسومة الملموسة لهذا الأصل اللغوي الذي تمتد إلى معنى يذكره أصحاب المعاجم في سياق دلالات هذا الأصل اللغوي، فهذا صاحب التاج "نظرت" الأرض: أردت العين نباتها[٤].

وعدَّ الزمخشري في أساس البلاغة هذا المعنى من باب المجاز: "ومن المجاز نظرت" الأرض بعين إذا ظهر نباتها، ومن المجاز الذي ذكره أيضًا

(١) الكشاف (٩٦/٤).
(٢) السابق (٩٩/٢).
(٣) تاج العروس (٥٧٣/٣)، مادة (ن ظ ر).
(٤) تاج اللغة (٥٧٣/٣)، مادة (ن ظ ر).

قولـــــه: نظـــــر إلـــــيهم الـــــدهر، أهلكهـــــم؛ ونظـــــر إليـــــك الجبل: قابلك[١].

فالنظر: أصلٌ يندرج في سياق الرؤيا بالعين ليس إلا، كما ترى في دلالاتها المؤصّلة في المعاجم العربية، لينتقل شيئًا فشيئًا بين هذا المعنى الذي يقع في أول السّلم إلى أن يرتقى إلى القمة ليعنى الإدراك والرؤيا القلبية.

وبين الدلالات الأخرى لهذا الأصل اللغوي: قول ابن منظور: "النظر" بكسر الظاء: تعنى التأخير في الأمر، وفي التنزيل العزيز، "فنظرة إلى ميسرة" و"أنظره" أخّره، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، والنظير: المثل والند، وتنظر: تتكَهَّن، وهو نظر علم وفراسة وفي الحديث: "أن أبا النبي عبدالله مر بامرأة تنظر، أي: تتكهن"[٢].

(٤) عمه:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

العَمَة: كما أورده الزمخشري في تفسير هذه الآية يوافق المعاني والدلالات المعجمية لدى علماء اللغة فقد ذكر: "العمة مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأى و"العمة" في الرأى خاصة، وهو التحيُّر والتردد، ولا يدري أين يتوجّه، ومنه قوله تعالى: بالجاهلين: "العمة"، أي: الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق، وسلك أرضًا "عمهاء" "لا منار لها"[٣].

(١) أساس البلاغة، ص٨٣٨، مادة (ن ظ ر).
(٢) شرح سنن أبي داواد لابن رسلان (١١٩/١)، لسان العرب (٢١٨/٥، ٢١٩)، مادة (ن ظ ر).
(٣) الكشاف (٧٦/١).

- **تعقيب:**

وهكذا نرى أن المعنى المادِّي المحسوس "نعمة" وهو من الأرض العمهاء التي لا منار بها ينتقل ليدل على المعنى العقلي المجرد وهو التردد والتحيّر في الطريق، فالأرض التي لا منار بها تجعل السائر فيها مترددًا لا يدري أين يتّجه.

وهذا المعنى الدلالي هو ما اتفق عليه علماء اللغة في معاجمهم اللغوية، فقد أورد الزبيدي "العمة" محركة كالتردّد، وأنشد ابن برّي:

متى "تغْمَه" إلى إلى ضَخْمِ السُّرادقَ

أي: تردد النظر، وقد أورده أيضًا عن اللحياني: هو تردُّد لا يدري أين يتجه، وقيل: هو التردد في الضّلال والتحيُّر في مفازعة أو طريق، أو هو أن لا يعرف الحجة، وقيل: العمة في البصيرة العمى في البصر والثاني عام فيهما(٢).

(٥) <u>عمى</u>:

ورد لفظ عمى بالمعينين المادي الملموس المعروف وهو: ذهاب البصر، كما وردت بالمعنى العقلي المجرد مثل: الضلال والجهل.

وقد اتفق علماء اللغة في بيان الدلالة اللغوية لهذا الأصل فقد ذكر ابن منظور في لسانه "أن العمى ذهاب البصر كله، وفيما نقله عن الأزهري: من العينين كلتيهما"(٣)، وفيما ذكره ابن فارس أن "(عمى) أصل

(١) البيت من الوافر وهو بلا نسبة في لسان العرب (٥١٩/١٣)، مادة (ع م هـ)، وتاج العروس (ع م هـ).
(٢) تاج العروس (٤٠١/٢)، مادة (ع م هـ).
(٣) لسان العرب (٩٥/٥) مادة (ع م ى).

واحد يدل على ستر وتغطية، ومن ذلك "العمى" وهو ذهاب البصر من العينين كليتهما، ولا يقع هذا النعت على عين واحدة"[١].

وفيما نقله ابن منظور عن الفراء "العرب إذا قالوا هو أفعل منك قالوه: في كل فاعل فعيل، وجاز في "العمى" لأنه لم يرد به عمى العينين إنما أُريد به –عمى القلب، فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب، ولا يقال: أعمى منه في العين[٢]، وهذا ما ذكره صاحب التاج أيضًا، وتقول: ما أعماه في هذا، أي: إنما يراد به ما أعمى قلبه؛ لأن ذلك ينسب إليه الكثير الضلال لأن مالا يتريد به لا يتعجَّب منه[٣].

وهكذا نرى: أن دلالة "العمى" يتعاقب عليها في القرآن الكريم الدلالة المعروفة المحسوسة والدلالة العقلية المجرَّدة بمعنى: الجهل والضلال.

(٦) شخص:

عند البحث في دلالة الأصل اللغوي لـ "شخص" نجد أنه يدل على الارتفاع والعلو، و"شخص" أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء من ذلك "الشخص": وهو سواء الإنسان إذا سما لك من بعد، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شخص من بلد إلى بلد، وذلك قياسه، ومنه أيضًا: شخوص البصر[٤]، وذكر ابن منظور في اللسان: "شخص الرجل ببصره عند الموت: رفعه فلم يطرف، فشخص البصر إذا ما وطمح[٥].

(١) مقاييس اللغة (١٣٤/٢) مادة (ع م ى).
(٢) لسان العرب (٩٥/٥)، مادة (ع م ى).
(٣) تاج العروس (٢٥٥/١٠)، مادة (ع م ى).
(٤) مقاييس اللغة (٢٥٤/٣) مادة (ش خ ص).
(٥) لسان العرب (٤٥/٧، ٤٦) مادة (ش خ ص).

- **تعقيب:**

مما سبق يتضح أن: الأصل المادي المحسوس لهذه اللفظة هو العلو والارتفاع واستعيرت للبصر، حتى كأنه المعنى الأول لهذه اللفظة، ولا غرابة في ذلك خاصَّة أن المعنى المجازي أحيانًا يطغى وينتشر على المعنى الأصيل للكلمة أو الدلالة الأم للفظة، فيصبح المعنى المجازي في أذهاننا هو المعنى الأصيل أو الحقيقي هكذا منطبعًا في ثقافتنا وعقولنا.

(٧) هطع:

ذكر الزمخشري في معنى مهطعين، قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أي: مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع: أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر فيه لا تطرف(١).

وفيما ذكره ابن فارس حول هذا الأصل اللغوي أن "الهاء والطاء والعين أصلٌ واحد يدل على إقبال على الشيء وانقياد، هطع الرجل على الشيء ببصره: أقبل، أو هطع البعير صوّب عنقه منقادًا، وأهطع بمعنى أسرع(٢).

ويُلاحظ: أن معنى "هطع" في أصل دلالته لا يخُصُّ جارحة العين، ولكن القرآن الكريم استخدم هذه اللفظة مرتبطة بجارحة العين دلالة على هول الموقف وشدته، ما يجعل العين مقبلة ومنقادة ببصرها ونظرها كما ينقاد البعير أو غيره ليرى أمامه وطريقه التي سيسير فيها.

وقد استشهد صاحب أساس البلاغة على معنى "هطع" بقول شاعر لم يذكر اسمه:

---

(١) الكشاف (٢/٢٤١).
(٢) مقاييس اللغة (٥/٥٦) مادة (هـ ط ع).

تَعَبَّـدِني نمـر بـن سـعدٍ وقـد أُدي ونِمْرُ بن سعدٍ لـي مُطِيـعُ ومُهْطِعُ(١)

ويبدو أنه أراد بهذا الشاهد معنى الانقياد، فقد ذكر في هذا المعنى "بعير مهطع" في عنقه: تصويب، وقيل هو المسرع.

- **تعقيب:**

نلمح مما سبق: تطور الدلالة من المعنى المادي الملموس لانقياد البعير وتصويب عنقه إلى معنى اقبال البصر وتعلُّقه بشيء لا يطرف حينها، وفيما ذكره ابن منظور أن "هطع" بمعنى أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه، وذكر قوله تعالى:﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾[إبراهيم: ٤٣]، وقيل: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع، والمقنع الذي يرفع رأسه ينظر في ذل وأهطع: أقبل مسرعًا خائفًا لا يكون إلا مع خوف(٢).

كأنه أراد نوعًا معينًا من النظر، وخَصَّ هذا النوع المرتبط بالخوف، وذكر ابن منظور عن المفسرين تلك الدلالة المرتبطة بنوع خاص من النظر المرتبطة بحالة معنوية، وقال بعض المفسرين في قوله: "مهطعين" مُحَمَّجين، والتجميج: "دامة النظر مع فتح العينين"(٣).

بالنظر إلى ما سبق يتضح أن: هطع وشخص ألفاظًا أنيطت بجارحة البصر، ولكنها تدوران في دلالتها في محاور معنوية مرتبطة بحالة من الحالات الإنسانية وهي الخوف.

---

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (٢٧٤/٣)، مادة (ع ب د)، (٢٣٦/٥)، (ن م ر)، (٣٧٢/٨)، (هـ ط ع)، وديوان الأرب (٣١٢/٢)، ومقاييس اللغة (٢٠٦/٤)، وأساس البلاغة، ص٥٠٣، مادة (هـ ط ع).

(٢) لسان العرب (٣٧٢/٨)، مادة (هـ ط ع).

(٣) السابق (٣٧٢/٨)، مادة (هـ ط ع).

ثالثًا: ألفاظ أفعال السمع:

(١) سمع:

سمع من ألفاظ الجوارح المهمة التي وردت في القرآن الكريم، إذ تُعدُّ حاسة السمع من أهم الحواس التي ركز عليها القرآن الكريم، وأثبت العلم الحديث أهميتها في التعلُّم والمعرفة.

(السَّمع) كما في اللسان: حس الأذن(١).

والسمع عند الجرجاني: هو قوة ودعت في العصب المفروش في مقصر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ(٢).

وسمع عند ابن فارس: أصل واحد وهو ايناس الشيء بالأذن من الناس وكل ذي أذن"(٣).

قال تعالى: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، قال ثعلب: أي خلاله فلم يشتغل بغيره، ويعبّر تارة بالسمع عن (الأذن) نحو قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [البقرة:٧]، واستمع إليه: أصغى(٤).

ومن المعاني المادّية المحسوسة التي أوردها الزبيدي في المعنى لأحد أبنية "سمع" المسمع بمعنى: عروة تكون في وسط العزب يجعل فيها حبل لتعدّل الدلو، نقله الجوهري، وأنشد للشاعر وهو أوس وقيل: عبدالله بن أبي:

---

(١) لسان العرب (١٦٢/٨) مادة (س م ع).
(٢) التعريفات للجرجاني، ص١٦٠.
(٣) مقاييس اللغة (١٠٢/٣)، مادة (س م ع).
(٤) تاج العروس (٣٨٦/٥) مادة (س م ع).

نُعِــدّلُ ذَا الميــلِ إنْ لَمــا عُــدّل الغَــربُ

نستطيع أن نربط هذا المعنى المادي الملموس للعردة في وسط الغرب يدخل فيها الحبل وتعدّل الدلو، بأله السمع، وهي الأذن، فهي أيضًا حزن لكي العروة ينظم دخول الموجات الصوتية ويعالجها لتصل إلى مراكزها في الدماغ.

أما الدلالة اللغوية: تنمو من المحسوس إلى المعنوى بمعنى الفهم والعقل مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ذكر الزبيدي في معنى "أسمعهم" أي: أفهمهم بأن جعل لهم قوة يفهمون بها(٢).

ومن الدلالات المجازية التي ذكرها الزمخشري: ومن المجاز "سمع الله لمن حمده: أجاب وقيل: وأخذ بالمسمع المراءة والدّلو والزبيل، وهو العروة وأسمعت الزبيل جعلت له مسمعًا(٣).

"والسمع" من صفاته عزوجل، وأسمائه لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن نفي، فهو يسمع بغير جارحة وفعيل من أبنية المبالغة، وفي التنزيل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] وهو الذي وسع سمعه كل شيء(٤).

وقد غلب في القرآن الكريم: استخدام ألفاظ السمع والبصر بمعنى عقلي مجرد لتدل على معنى الفهم والعقل أو العلم.

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لعبدالله بن أوس في لسان العرب (١٦٦/٨)، (س م ع)، ولأوس، أو عبدالله بن أبي أوفى في تاج العروس (٢٢٧/٢١)، مادة (س م ع)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١٢٥/٢).

(٢) تاج العروس (٣٨٨/٥)، مادة (س م ع).

(٣) أساس البلاغة، ص٣٩١، مادة (س م ع).

(٤) لسان العرب (٣٤/٨)، مادة (س م ع).

(٢) صغا:

صغو: أصلٌ لغوي ارتبط بمعنى الميل القلبي، وقد استخدم فيما يخص جارحة السمع دونا عن باقي الجوارح كما هو معلوم، فنحن نستخدم هذه اللفظة في تبادل مع لفظة سمع، مع زيادة في الحرص على فهم المسموع.

وارتبط هذا الأصل اللغوي في القرآن الكريم بميل القلوب مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التحريم: ٤].

– التحليل: ذكر الزمخشري في معنى "صغت" فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبّه وكراهة ما يكرهه..."[١].

وذكرت المعاجم الدلالة الأصلية لـ صغا كما عند ابن منظور "صغا إليه": مال، وصغا الرجل إذا مال على أحد شقيه، وانحنى في قومه، وصغا على القوم إذا كان هواه مع غيرهم، وصغا إليه سعى يصغو صغواً: مال، وأصغيت إلى فلان: إذا ملت سمعك نحوه، وأَصْغَى إليه رأسه وسمعه: أماله.

وينطلق: هذا الأصل اللغوي من الدلالة المادية اللغوي من الدلالة المادّية المحسوسة للإمالة كما في "أصغى" الإناء للهرة بمعنى: أماله على جانبه ليجتمع ما فيه[٢] كما نقله الزبيدي عن المحكم إلى المعنى الخاص بجارحة السمع، كما ذكر أيضًا صاحب التاج: "وأصغى فلان: استمع

(١) الكشاف (٤/٥٥٣).
(٢) تاج العروس (٥/٢١٠)، مادة (س ف ه).

وأصغة إليه: استمع، ومال بسمه كما في الصحاح[١] إلى الارتقاء في الدلالة القلبية أو العقلية المجردة، كما وردت في الآية السابقة.

وتحمل أيضًا دلالات مجازية معنوية كما ذكر صاحب أساس البلاغة، ومن المجاز فلان "يصغي": اناء فلان إذا نقصه ووقع فيه، وأصغى: حقه، نقصه[٢].

(٣) صم:

صَمَم: أصل لغوي مرتبط بجارحة الأذن وحاسة السمع، التي تعد من أهم حواس الإنسان، وقد ارتبط "الصمم" في القرآن الكريم بمعناه العقلي أو المعنوى أكثر مما ارتبط بالدلالة المرضية المعروفة.

وأصل معنى صمم في اللسان: الصمم: انسداد الأذن وثقل السمع، وفيما نقله أيضًا ابن منظور عن الليث: الصمم في الأذن: ذهاب سمعها، وفي القناة: اكتناز جوفها، وفي الحجر: صلابته وفي الأمر: شدته، وصممت القارورة: أي سدَّدتها"[٣].

فالصمم الذي ورد في أكثر آيات القرآن الكريم بالدلالة العقلية المجردة: كون السمع من أهم آلات العقل وأدواته.

والصمَّم في الأذن أو الصمم المعنوي الذي عبَّرت عنه آيات القرآن الكريم يرتبط بالدلالة المادِّية المحسوسة في أصله، وقد ذكر ابن منظور أن: "صمام القارورة "هو سدادها، وأورد ذلك أيضًا ابن فارس في دلالة هذا

(١) السابق (٥/٢١٠)، مادة (س ف هـ).
(٢) أساس البلاغة، ص٢٥٠، مادة (س ف هـ).
(٣) لسان العرب (١/٣٤٢)، مادة (ص م م).

الأصل المعنى الملموس، فقال: "... أصل يدل على تضام الشيء وزوال الخرق والسّم ومن ذلك الصمم في الأذن[1].

فالدلالة تنتقل من المادي الملموس في الإنسداد وتضام الشيء إلى الدلالة العقلية المجردة أو الدلالة المجازية لمن لا يؤدى أو يهتدي فهو "الأصم" أو "الأعمى".

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "كانت حواسهم سليمة ولكن سَدُّوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، فجعلوا كأنما أنفت مشاعرهم وانتقصت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك.

- **تعقيب:**

يحمل الصمم دلالة مجازية سواء أكانت استعارة أم تشبيهًا، وهي دلالة تزيد المعنى وضوحًا حين يشبه المعنى المادي بالمحسوس.

(٤) وقر:

الوقر من ألفاظ أفعال السمع التي وردت في القرآن الكريم، ويغلب ورودها دالاً على المعنى العقلي أو المعنوي، لا على العلة أو المرض العضوي.

فالوقر كما ورد في اللسان: "ثقل في الأذن بالفتح، وقيل: هو أن يذهب السمع كله، والثقل أخف من الأذن، ووقرت أذنه بالكسر كوقر وقرًا أي: صُمَّت.... قال تعالى: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ [فصلت: ٥]، والوقر بالكسر، الثقل يحمل على ظهر أو على رأس[2].

(١) مقاييس اللغة (٢٧٧/٣، ٢٧٨)، مادة (ص م م).
(٢) لسان العرب (٢٨/٥)، مادة (و ق ر).

ويُعرفه ابن فارس بقوله: "أصل يدل على ثقل في الشيء منه"، "الوقر" في الأذن و"الوقر" الحمل الثقيل يقال: نخله موقورة ذات حمل كثير..[١].

فأصل الدلالة مادية محسوسة تعنى: الحمل الثقيل، ثم ينسحب هذا على الصمم أو ما دونه من صفة السمع، وهو ما عُرف بالوقرّ، وغلب على هذا الأصل في دلالته في القرآن الكريم كما في ألفاظ الجوارح الأخرى، المعنى المجازي في عدم الطاعة والاستجابة لنداء الحق، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ [فصلت: ٥] وأورد الزمخشري في كشافه لتفسير هذه الآية ما يلي: الأكنة جمع كنات وهو العظاء، و"الوقر" بالفتح – الثقل، وقرئ بالكسر –[٢]، وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية يمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة:٨٨] ومجَّ أسماعهم له كان بها صممًا عنه[٣].

ومن الاستعمالات المجازية لهذه اللفظة: ما ذكره الزمخشري: "أو قرها الدِّين"، وفي أذنه "وقر": ثقل. وأذن وقرة و "موقورة"...، ووقرت أذني عن استماع كلامه[٤].

(١) مقاييس اللغة (١٣٢/٦)، مادة (و ق ر).
(٢) ينظر: هذه القراءة في التبصرة في القراءات السبع، لأبي محمد مكي القيسى القيرواني القرطبي، اعتنى بمراجعته جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ص١٦٩، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت:٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد بيومي، ط. دار الغد الجديد، ط١ (١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م)، ص٨٩.
(٣) الكشاف (١٣/٣).
(٤) لسان العرب (٤٩٠/١)، مادة (و ق ر).

يُلاحظ مما سبق أن: الدلالة المادّية الملموسة من معنى الحمل الثقيل إلى معنى الصّم أو النبو عن سماع الحق، نمت دلالة الوقر، وهذا المعنى المادى الملموس يطلق على السحابة المحمّلة بالماء، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات: ٢] ذكر صاحب اللسان في معنى "وقرا" يعنى السّحاب، يحمل الماء الذي أوقرها(١).

ثالثاً: ألفاظ أفعال اليد:

(١) أخذ:

أصل لغوي يرتبط بجارحة اليد، في الأصل، إلا أنه ورد في القرآن الكريم يحمل الدلالة المجازية غالبًا، قال تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾[البقرة: ٢٦٠]، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ قيل: طاووسًا وديكًا وحمامة، ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ بضم الصاد وكسرهن بمعنى: فأملهن واضممهت إليك..."(٢).

والأخذ في اللسان: خلاف العطاء، وهو أيضًا التناول.. وقد أخذ فلان إذا أُيسر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ [النساء: ٨٩]، معناه والله أعلم: إئسروهم.

"وآخذه بذنبه مؤاخذة: عاقبة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

التحليل: "أخذ" أصل تتعاقب عليه الدلالة المحسوسة والدلالة المجردة، فهو عند ابن فارس: "أصل واستفرع منه فروع متقاربة في المعنى،

(١) لسان العرب (٥/٢٩٠)، مادة (و ق ر).
(٢) الكشاف (١/٣٠٥).

أما "أخذ" فالأصل: حوز الشيء وجيبه وجمعه... وهو المتناول.. وهو خلاف العطاء"(١).

ويرى بعض اللغويين أن الأصل في الدلالة معنوية مجردة، فقد أورد الزبيدي عن آراء بعض أهل اللغة أن الأصل في "الأخذ" هو القهر والغلبة، وقال آخرون هو في الأصل لمعنى القهر والغلبة واشْتُهِر في الإهلاك والاستئصال.. ومن المجاز: الإيقاع بالشخص والأصل بعض القهر والغلبة... ومن المجاز: الأخذ والعقوبة.. وقد ورد "الأخذ" في القرآن على خمسة أوجه: ١-بمعنى القبول ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]، أي: قبلتم، ٢- بمعنى الحبس ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [يوسف: ٧٨]، أي: احبس، ٣- بمعنى العقوبة والعذاب: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ٤- بمعنى القتل: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥]، أي: يقتلوه، ٥-بمعنى الأسر: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، والأصل فيه: جوز الشيء دون تحصيله وتناوله، وذلك يكون بالتناول، كقولك: "أخذنا" المال، وتارة بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومن الدلالة المجازية: الطريقة أو الهدى: ولو كنت منا "لأخذت" "بأخذتنا" أي: بطريقتنا وشكلنا(٢).

- **تعقيب:**

انتقلت الدلالة الأصلية المتعلقة بالجارحة اليد بمعنى: التناول إلى الدلالات المجازية الأخرى التي ذُكِرت في القرآن الكريم.

(١) مقاييس اللغة (٦٨/١)، مادة (أ خ ذ).
(٢) أساس البلاغة، ص٣، مادة (أ خ ذ).

(٢) بسط:

هذه اللفظة استخدمت في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، وردت فيما يخص جارحة اليد في باب المجاز كما أوردت المعاجم الأصلية والتفاسير.

قال ابن منظور: "بسط في أسماء الله تعالى: "الباسط" هو الذي "يبسط" الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته وتبسط "الأرواح في الأجساد عند الحياة"(١).

عدَّ صاحب التاج: الآيات التي وردت فيها "بسط" فيما يخص اليد في باب المجاز، وإن كان فعل يأتي لمعان أخرى معنوية "بسط" اليد والكف تارة يستعمل للأخذ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي: يسلطون عليهم.

وتارة يستعمل للطلب كقوله تعالى: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤]، أي: كالداعي الماء يوميء إليه ليجيبه، وتارة للبذل والعطاء، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وكل ذلك مجاز (٢).

إذًا هي لفظة مجازية فيما يخص جارحة اليد في القرآن الكريم وتجمع دلالاتها الخير والشر، الكرم والجود والقتل والضرب، وهي في أصل معناها الامتداد والنشر فقد تمتد اليد في الخير وقد تمتد، وهذا الامتداد هو امتداد معنوي في الغالب على جذور المعنى المادّي لمادة "بسط"(٣).

- **تعقيب:**

بسط أصل لغوي ينتقل في دلالاته المجازية ليرتبط بأكثر من جارحة، منها في القرآن الكريم: اليد واللسان، وقد تستخدم للقدم كما ذكر الزمخشري،

(١) لسان العرب، مادة (ب س ط).
(٢) تاج العروس (١٠٦/٥)، مادة (ب س ط).
(٣) يراجع مقاييس اللغة (١٠٦/٥)، مادة (ب س ط).

إلا أن أكثر الجوارح التي اقترنت بها هذه اللفظة في القرآن الكريم هي جارحة اليد.

(٣) بطش:

"بطش": أصل ورد في القرآن الكريم ليدل على القوة والغلبة، ووردت مقرونة بفعل جارحة اليد، وذلك لكون اليد آله متينة في البطش، قال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

خصصت المعاجم "البطش" منذ البداية وللتناول والأخذ:

أ) ففي اللسان: "البطش"، التناول بشدة عند الصولة، والأخذ الشديد في كل شيء "بطش"(١).

ب) ذكر صاحب التاج أن "المباطشة": أن يمد كل منهما يده إلى صاحبه ليبطش به(٢).

والدلالات المجازية لهذه اللفظة: وردت لتدل على القوة أيضًا، وذكر صاحب الأساس، من المجاز: فلان يبطش في العلم بباع بسيط: بطشت بهم أهوال الدنيا(٣).

- **تعقيب:**

يلاحظ هنا أن دلالة صوت الباء مع الطاء فيه الجرس القوى الذي ينقل السمع ويملأ الأذن مما يتلاءم مع الدلالة التي يحملها، ولم أجد في دلالة هذا الأصل معاني أخرى غير هذه المعاني المذكورة، فالأصل: تمسك بدلالته التي وُضِع لها أصلاً، حتى في استخداماته المجازية ظل يدلّ على القوة والغلبة للفعل الذي يقترن به هذا الأصل اللغوي.

---

(١) لسان العرب (٦/٢٧٦)، مادة (ب ط ش).
(٢) تاج العروس (٤/٢٨٣)، مادة (ب ط ش).
(٣) أساس البلاغة، ص٤٣، مادة (ب ط ش).

(٤) لمس:

أصل لغوي يتعلق بجارحة اليد في أصل دلالته كما اتفقت معاجم اللغة الأصول على ذلك ثم انتقلت دلالته من طريق المجاز إلى معاني أخرى وردت أيضًا في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

ارتبط "اللمس" بجارحة اليد وذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية: "ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا، ولا تبقى لهم علة[١].

"واللمس في اللسان: الحس، وقيل: المس باليد.. واللمس كناية عند الجماع، اللمس باليد أن تطلب شيئًا ههنا وهنا..."[٢].

وذكر الزبيدي الدلالات المجازية لهذا الفعل: (لمس الجارية): (جامعها)، ومن المجاز قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، أي: عالمنا غيبها فرمنا استراقة لنلقيه إلى الكهنة وليس من "اللمس" بالجارحة في شيء.

ومن المجاز: "لمس" أي: طلب، ومنه الحديث: "من سلك طريقًا يلتمس به علمًا"[٣] أي: يطلبه، فاستعار له "اللمس"[٤].

ويجعله ابن فارس: تطلب الشيء، يقول في "لمس": أصل واحد يدل على تطلب شيء ومسيسه، تقول: "لمست الشيء إذا تطلبه بيدك، قال ابن

---

(١) الكشاف (٦/٢).
(٢) لسان العرب (٢٠٩/٤)، مادة (ل م س).
(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد، ط. الرسالة (٣٩٣/١٢)، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت (١٣٧٩هـ)، (١٧٤/١).
(٤) تاج العروس (٢٣٤/٤)، مادة (ل م س).

دريد: "اللمس: أصله باليد ليعرف "مسَّ الشيء ثم كثر ذلك حتى صار كلَّ طالب ملتمسًا"(١).

- **تعقيب:**

يلاحظ مما سبق أن أصل الدّلالة محسوسة مرتبطة بجارحة اليد تمامًا، ثم تطورت لأسباب مجازية إلى معانٍ أخرى أثبتتها آيات القرآن الكريم واستخدامات العرب الأخرى لهذه اللفظة، كطلب العلم، والجماع وذهاب البصر.

رابعًا: <u>ألفاظ أفعال القدم</u>:

(١) خَلَعَ:

أصلٌ ورد في القرآن الكريم مرتبط بجارحة القدم عندما خاطب الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

- <u>التحليل</u>: ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية: "... قيل أمر بخلع النعلين، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السيد وقتادة وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركًا به، وقيل: لأن الخطوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه، وكان إذا نذر منه الدخول منتعلاً تصدق، والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها تشريف لقدسها(٢)، إذن هو فعل جارحة يكسب بها الإنسان

(١) مقاييس اللغة (٥/٢١٠) مادة (ل م س).
(٢) الكشاف (٢/٥٣١)، مادة (خ ل ع).

الخير إذا فعلها امتثالاً لأمر الله تعالى، وأصل الدلالة في "الخلع": النزع لشيء ما.

ذكر صاحب اللسان في "خلع": "خلع الشيء يخلعه خلعًا واختلعه: كـ نزعة إلا أن في "الخلع" مهلة، وسوَّى بعضهم بين الخلع والنزع، و"خلع النعل والثوب والرداء: يخلعه: جردّه"(١).

وذكر ابن فارس هذا الأصل اللغوي: "أنه أصل واحد مطرد وهو مزايلة الشيء الذي كان يشتمل به أو عليه، تقول: خلعت الثوب أخلعه خلعًا، و"خلع" الوالي يخلع خلعًا وهذا لا يكاد يقال إلا في الدّون، ينزله من هو أعلى منه"(٢).

إذًا الدلالة المحسوسة هما مزايلة الشيء، الذي كان يشتمل عليه أيًا كان ذكر الزبيدي في واحد من دلالات "الخلع": أنه "لحم يطبخ بالتوابل.. ونقل عن الزمخشري هو اللحم "يخلع" من عظمة ثم يطبخ ويبرز ويجعل في الجلد يتزود به في الاسفار"(٣).

ثم تتطور الدلالة المحسوسة لتنتقل إلى المعنى ذاته ولكن في دلالة معنوية مجازية، فذكر الزمخشري في الأساس أمثلة على الاستخدامات المجازية بهذه اللفظة، فيقول: "خلع" الوالي العامل "خالعت" فلانة زوجها، واختلعوا ماله: أخذوه، وخالعه: قامره، لأن المقامر "يخلع" مال صاحبه والمجنون يتشكك في مشيه يتفكك(٤).

(١) لسان العرب (٧٦/٨)، مادة (خ ل ع).
(٢) مقاييس اللغة (٢٠٩/٢)، مادة (خ ل ع).
(٣) تاج العروس (٣٢١/٥)، مادة (خ ل ع).
(٤) أساس البلاغة، ص٢١٠، مادة (خ ل ع).

(٢) مشي:

أصل لغوي ورد في القرآن الكريم ليختص بجارحة القدم، قال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥]، والمشي معروف فهو حركة الإنسان يقوم لهما بواسطة القدمين، على الأرض، ذكر ابن منظور في معنى "مشي": المشي معروف، مشى يمشي مشيًا، والاسم المشية، عن اللحياني، وتمشّي ومشَّي تمشية(١).

ذكر ابن فارس أن: "الميم والشين والحرف المثقل: أصلان صحيحان أحدهما: يدل على حركة الإنسان وغيره، والآخر: النماء والزيادة(٢).

فأصل المشي: هي حركة الإنسان وغيره كما ذكر ابن فارس، ومنه: حركة الدّواء في البطن إذا أسهله، وجعل صاحب الأساس ذلك من المجاز، ومن المجاز: "مشي" بطنه: مشا الأداء(٣).

- **تعقيب:**

يُلاحظ تعاقب الدلالة الحقيقة لهذا الأصل والدلالة المجازية لتدّل على المعنى المادي الملموس، ثم تتطور، لتدل على المعنى العقلي المجرد، إذا جاءت بمعنى الهداية.

قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، ذكر الزمخشري: "(مشوا) في مطرح نوره وملقى ضوئه"(٤).

---

(١) لسان العرب (٢٨١/١٥) مادة (م ش ي).
(٢) مقاييس اللغة (٢٨١/١٥)، مادة (م ش ي).
(٣) أساس البلاغة، ص٧٨، مادة (م ش ي).
(٤) الكشاف (٩٢/١، ٩٣) بتصرف.

- **تعقيب:**

العلاقة بين الأصليين اللغويين لمادة "مشي": فالنَّماء والزيادة والكثرة: أصل المشاء: "مشت" الماشية إذا كثرت أولادها.

إذاً نجد ارتباط معنى الزيادة، والنماء في هذا الأصل، بجنس الحركة التي تتقدم بالإنسان إلى الأمام، كما النماء والزيادة يتقدم في وجه من الوجوه.

خامسًا: <u>ألفاظ أفعال الفم</u>:

(١) أكل:

"أكل" أصل لغوي معروف يتعلق بجارحة الفم، ورد في القرآن الكريم بأبنية مختلفة يحمل المعاني المجازية للأكل على الأغلب إضافة إلى الدلالات الحقيقية في بعض المباني فيما يرتبط بجارحة الفم مباشرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

أو بمعنى يغتاب: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

أما ابن فارس فقد ردَّ دلالة "الأكل" إلى كلمة واحدة تعنى: التنقُّص، فيقول: "الهمزة والكاف واللام باب تكثر فردعه، والأصل كلمة واحدة ومعناها التنقُّص"(١).

- **تعقيب:**

الدلالة الأصلية، "لأكل" تتعلق بجارحة الفم أصلاً ويتعاقب على هذا الأصل: الدلالة الأصيلة المحسوسة والدلالات المعنوية المجازية في القرآن الكريم.

(١) مقاييس اللغة (١/١٢٢)، مادة (أ ك ل).

ويجمع الدلالة المحسوسة بالدلالة المجازية، معنى: التنقص، كما ذكر ابن فارس، فالأكل الحقيقي هو: انقاص من المأكول، وكذلك الغيبة: انتقاص من حق المستغاب وكذلك: "تآكل" النار نقصانها بالاحتراق و"آكل" الربا: ينقص من حق الآخرين، وهكذا.

(٢) تَبسَمَ:

أصل لغوي من أفعال جارحة الفم، ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]، وذلك في سياق قصة سيدنا سليمان مع النمل، "والتبسُّم" في اللغة هو فتح الشفتين سرورًا، وقد ذكرت المعاجم اللغوية هذه الدلالة الأصلية: فهي عند ابن منظور فيما نقله عن الليث في معنى: "بسم" إذا فتح شفتيه كالمكاشر(١).

وهو عند ابن فارس أصل واحد معناه: ابداء مقدّم الفم لمسرَّة وهو دون الضحك(٢).

وذكر أيضًا صاحب التاج ذلك "ابتسم" وهو أقل من الضحك وأحسنه، وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]، قال الزجاج: "التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم السلام، وفي صفته صلى الله عليه وسلم أن كان جلّ ضحكه البسم"(٣).

- **تعقيب:**

التبسَّم حركة خاصة ارتبطت في اللغة ارتباطًا مباشرًا بحركة فم الإنسان عند السرور، وليس في دلالتها اللغوية ارتباط هذا الأصل بدلالات أخرى سوى الدلالات المجازية التي وردت في هذه المعاجم، وكلها تدل على

(١) لسان العرب (٤٢١/١٢)، مادة (ب س م).
(٢) مقاييس اللغة (٢٤٩/١)، مادة (ب س م).
(٣) تاج العروس (٣٠٣/٨)، مادة (ب س م).

حركة عرضية منفرجة، بطيئة، وأورد الزمخشري: ابتسم شارى في الضحك، وقد أخبرنا ﷺ "أن كثرة الضحك تميت القلب"(١)، فهو فعل من أفعال الجوارح التي يكسب بها الإنسان الخير والشر.

(٣) الفم:

من أفعال الجوارح، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى فعل جارحة الفم للحوت الذي ابتلع سيدنا يونس عليه السلام، مثل: قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] فسر الزمخشري هذه الآية بقوله: "داخل الملامة يقالك رب لائم مليم، أي: يلوم غيره وهو أحق منه باللوم"(٢).

ومن النقمة: ابتلعه، لأن سيدنا يونس لبث في بطن الحوت زمنًا، واللُّقْم في اللغة: سرعة الأكل والمبادرة إليه".

قال ابن فارس: "لقم: سرعة الأكل والمبادرة إليه، ولقمه: لقمًا جذبه بفيه وأكله سريعًا(٣).

وفي باب المجاز: "لقم الطريق لقمًا: إذا سدفه، نقله الجوهري، والألقام: أن يعدو البعيد في أثناء مشيه..."(٤).

- **تعقيب:**

المعنى المتولد من الدلالة الحقيقية والمجازية؛ أنَّ هناك التقاء بين شيئين، بين اللقمة، وبين العين والباب، وفي المجاز أو الحجر الذي يسدُّ به الطريق فمجرى الطعام هو الطريق وما يؤكل يمر به في الفم إلى البلعوم في التقاء أيضًا.

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد، ط. الرسالة (٤٥٩/١٣)، فتح الباري (٥٠٦/١٠).
(٢) الكشاف (٥٨/٤، ٥٩).
(٣) تاج العروس (٦٢/٩) مادة (ل ق م).
(٤) السابق (٦٢/٩)، مادة (ل ق م).

سادسًا: ألفاظ أفعال اللسان:

جارحة اللسان: جارحة على قدر كبير من الخطر، ويتضح ذلك في قول رسول الله ﷺ: "وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"(١)، وقد وردت حاسة اللسان في القرآن الكريم بلفظين هما: ذاق وطعم، إلا أن جارحة اللسان تختص بالكلام والحديث أيضًا، وقد وردت في القرآن الكريم مرارًا لتدلّ على هذه المعاني ولتدل على معنى اللغة أيضًا... وهذا يكسب تلك الجارحة مكانة هامة بين جوارح الإنسان التي تكسب الخير والشر.

ومن الألفاظ التي يشتمل عليها اللسان:

(١) أمر:

هذا الأصل اللغوي ورد في القرآن الكريم في آيات عدة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [البقرة: ٢٧].

التحليل: أمر: عادة فعل تعرفه بما ينطقه اللسان وهو في العبرية يعنى قال: "وقد أوردت معاجم اللغة وكتب التفسير والمعاني المختلفة لهذا الأصل اللغوي: ففي هذه الآية فسَّر الزمخشري معنى الأمر: "طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليك وبه سُمِّى "الأمر" الذي هو واحد الأمور؛ لأن الداعي يدعو إليه ممن يتولاه شبه "بآمر": يأمره، فيقبل له "أمر"، تسمية للمفعول بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن، والشأن: الطلب والقصد يقال: شأنت شأنه أي قصدت قصده(٢).

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد، ط. الرسالة، باب (حديث معاذ بن جبل)، (٣٨٧/٣٦)، فتح الباري (٣٠٩/١١).
(٢) الكشاف (١٢٥/١).

وقد ورد معنى "الأمر" في المعاجم العربية بأنه: نقيض النهي[١]، وفيما نقله الزبيدي أيضًا عن الأزهري أن الأمر: ضد النهي واحد الأمور، وذكر أن "لا يجمع أمر إلا على أمور"[٢].

وقد وردت أيضًا بمعنى الحادثة، قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]، وقد أورد ابن منظور فيما نقله عن الزجاج (أمر الله) ما وعدهم من المجازاة[٣].

والوعد من الله لا يكون بالحديث المباشر ولكن بما أوصله الله لعباده عن طريق الكتب السماوية والأنبياء والمرسلين.

(٢) تلا:

ورد هذا الأصل اللغوي في القرآن الكريم في مواضع عدة ليدل على ما يتعلق بالنطق والكلام الخاص بأفعال جارحة اللسان، مثال: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- التحليل: قال الزمخشري: "واتبعوا كتب السحرة والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان، أي: على عهد ملكة في زمانه، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمُّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها للناس"[٤].

---

(١) لسان العرب (١٧/٣)، مادة (أ م ر).
(٢) تاج العروس (١٧/٣)، مادة (أ م ر).
(٣) لسان العرب (٢٦/٣)، مادة (أ م ر).
(٤) الكشاف (١٧٢/١).

وذكر ابن منظور في معنى هذه الآية فيما نقله عن عطاء أن "تلو" تعنى: كل تجدّ وتَقَصٍّ وقيل ما تتكلم به(١).

وقوله تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [الصافات: ٣] فالتاليات هم الملائكة وغيرهم ممن يتلون كتاب الله(٢).

-أما المعاني المؤصلة للفظ: ذكر ابن منظور: "تلوت عنه: خذلته وتركته وتلوته تلوا بتعته وتلا: إذا اتبع وإذا تخلَّف.. وناقة متلية، أي: يتلوها ولدها أي: يتبعها"(٣).

وبلاد الشام يردّون هذا المعنى في المثل الشعبي القائل: "التالي للغالي" أي بقية الشيء في مفهومنا.

- **تعقيب:**

يلاحظ هنا: ارتباط الدلالة المحسوسة ارتباطًا واضحًا بالدلالة الخاصة بجارحة اللسان، ففي الدلالة المحسوسة، ولد الناقة يتبعها بعد الفطام ليتعلم أمور معاشه، فالتلاوة "تتبع، ولكنها إذا اختصت بجارحة اللسان تصبح قراءة من نوع مخصوص فيها اتباع لها جاء في المقروء: إنها قراءة "يتلو" بعضها ببعض ليس على عجل ولكن بأناة وروية ليتيح للقارئ فرصة الفهم ومن ثم الخشوع والاتباع.

(٣) حدِّث:

ورد هذا الأصل اللغوي بأبنية مختلفة في آيات القرآن الكريم ترتبط في دلالتها بأفعال جارحة اللسان.

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

---

(١) لسان العرب (١٠٤/١)، مادة (ت ل و).
(٢) لسان العرب (١٠٤/١)، مادة (ت ك و).
(٣) السابق.

- التحليل: قال الزمخشري: التحديث: بنعمة الله: شكرها وإشاعتها يريد ما ذكر من نعمة الإيواء والهداية والإغناء، وعن مجاهد: بالقرآن "فحدث"، أقرئه وأبلغ ما أرسلت له، وفي قراءة علي فخبر"[١].

وورد دلالة الحديث في المعاجم الأصلية أيضًا مرتبطة بجارحة اللسان، فقد ذكر الزبيدي في معنى الحديث، والحديث الجديد من الأشياء فهما مرادفان يأتي على القليل والكثير، والحديث: ما يحدث به المحدث وقد حدثه المحدث وحدَّث به..."[٢].

يلاحظ: امتداد جذور هذا الأصل اللغوي للدلالة المادية المحسوسة، فقد ذكر ابن منظور في دلالة هذا الأصل: "محادثة السيف: جلاؤه، وأحدث الرجل سيفه: جلاه، وفي حديث الحسن: حاثوا هذه القلوب بذكر الله فإنها سريعة الدُثور"[٣].

- **تعقيب:**

مما سبق يتضح أن هناك ارتباط الدلالة الخاصة بجارحة اللسان بالدلالة المحسوسة، ثم تطور هذه الدلالة إلى ما هو مجرَّد ومعنوى في نسبة "المحادثة" إلى القلوب.

فالقاسم المشترك لأصل الدلالات في صوت هذين الحرمتين المتتابعين، وهي حركة صوت وتفريق بين شيئين اثنين، فالحدث كما في اللسان فرك الشي: اليابس عن الثوب ونحوه، .. والحدث دون النحت"[٤].

---

(١) الكشاف (٧٥٧/٤).
(٢) تاج العروس (٦١٢/١)، مادة (ج أ ر).
(٣) لسان العرب (١٣٣/٢)، مادة (ح د ث).
(٤) لسان العرب (١٤٠/٣، ١٤١)، مادة (ح د ث).

إذن العلاقة: فرك الشيء اليابس: فيه نشر، وكذلك الحديث: كلام بين اثنين فيه نشر أيضًا.

إذن العلاقة: النشر والتفريق باحتكاك شيئين.

(٤) لغو:

أصل لغوي متعلق بجارحة اللسان، ومنها: "اللغة"، ونقل ابن منظور عن الأزهري: "واللغة" من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من "لغا" إذا تكلَّم، واللَّغا: مالا يعد من أولاد الإبل في دية أو غيرها لصغرها(١).

عند ابن فارس: "لغو" أصلان صحيحان أحدهما: يدل على الشيء لا يُعتد به، والآخر على اللَّهج بالشيء، فالأول: اللغو: ما لا يُعتد به من أولاد الإبل في الدية، والثاني: قولهم "لُغي بالأمر: إذا لُهج به، ويقال أن اشتقاق "اللغة" منه، أي: يلهج صاحبها بها(٢).

وقد ورد في القرآن الكريم بتلك الدلالتين: قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾[المائدة: ٨٩].

ذكر الزمخشري معنى اللغو بقوله: "إنه الكلام الساقط الذي لا يُعتدُّ به، "اللّغو: الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره، ولذلك قيل لما يُعتدُّ به في الدِّية من أولاد الإبل: "لغو" و"اللغو" في اليمين الساقط الذي لا يُعتد به في الأيمان، وهو الذي لا عقد معه، والدليل عليه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾[المائدة: ٨٩](٣).

(١) لسان العرب (١٥/٢٥٠) مادة (ل غ و).
(٢) مقاييس اللغة (٥/٢٥٥)، مادة (ل غ و).
(٣) الكشاف (١/٢٦٥).

وفي الجنة: أخبرنا الله تعالى أن المؤمنين لا يسمعونه فيها كلامًا لاغيًا لا قيمة له في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]، وفي الأساس: "ومن المجاز: لغا عن الطريق وعن الصواب مال عنه"(١).

- **تعقيب:**

يُلاحظ أن دلالة اللُّغويات: يتعاقب عليها المعنى المادِّي المحسوس وهو مالا يُعتدُّ به من أولاد الإبل في الدِّية، والدلالة المعنوية الخاصة بجارحة اللسان وهو الكلام الذي لا يُعتَدُّ به أو الكلام الفاحش الباطل، وبالتالي يصبح "اللغو" نوعًا مخصوصًا من الكلام يجمعه بالمعنى المادي المحسوس: الباطل والساقط الذي لا قيمة له في الأشياء.

ثانيًا: الدلالة المعنوية لأفعال الجوارح في القرآن الكريم:

١- مثال قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

- التحليل: قال الأصفهاني: "سكت: السكوت مختص تبرك الكلام، ورجل سكيت وساكوت كثير السكوت، ولما كان السكوت ضربًا من السكون استعير له في قوله تعالى المتقدم"(٢).

هذه من جليات الإستعارة؛ لأن الغضب لا يوصف بالسكون، وإنما المعنى: لما فتر عن موسى الغضب وخبت جمرته وكسرت شوكته، وإنما قيل سكت: لأن الغضبان أبدًا يكثر خصامه ويعلو كلامه، وإذا سكت غضبه زالت عنه تلك الصفة فحسن أن يقال: سكت عنه الغضب لأن

(١) السابق، ص٧٣٣.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٤٢، ويراجع: تهذيب اللغة (٢٩/١٠)؟

سكوت غضبه كان السبب في انقطاع ضجاجة فلما كان الغضب سبب كلام موسى لهارون عليهما السلام وعتابه له ومراجعة القول بينه وبينه وباب له من عذر أخيه ما سكن به غضبه وانقطع منه عتبه جاز أن يوصف الغضب بالمسكوت عنه، وإن كان هو الساكت لا الغضب على الحقيقة(١).

السكوت: مستعار لذهاب الغضب عنه، وحسن هذا التشبيه، فإن الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفيء بها ثوران غضبه، فإذا سكت غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة لسكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت، وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المعزي على طريق الكناية فاجتمع استعارتان، لأنه لم تذكر الهيئة الشبه بها ورُمِز إليها بذكر شيء من روافدها وهو السكوت، وفي هذا ما يؤيد فإن إلقاء الألواح كان أثرًا للغضب(٢).

فشبه القرآن هنا الغضب بإنسان يتكلم، ويحرص ويدعو غيره إلى الثورة ويغريه بتصرف يوقع بينه وبين الآخرين، وقد استجاب له النبي موسى عليه السلام ثم بعد ذلك سكت ذلك المحرض المؤثر، فذهبت عنه عليه السلام كل علامات الغضب، ورجع لحالته الطبيعية، كل هذا التصوير جاء بفضل استعارة صفة السكوت للغضب، والمزج بينهما، بحيث رأينا الغضب يتجسد أمامنا إنسانًا قادرًا على الكلام والسكوت.

(١) تلخيص البيان، ص٥٠.
(٢) التحرير والتنوير (٨/٣٠٣- ٣٠٤).

- العلاقة: المعنى المحوري: توقف ما يجري في الأثناء أو منها سكوتًا وانقطاعًا[1].

إذن وُجِد في الآية تداخل بين الحقول الدلالية أعطى دلالة إلى فعل الجارحة (سكت) فقد نسبة إلى الغضب، وأضاف إليه دلالة مجازية نقلته من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر ليصبح بذلك فعلاً للأمور المعنوية كالغضب مثلاً بعد أن كان من الأفعال الخاصة بالإنسان.

٢- مثال: قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

- التحليل: التنفس: خروج النفس من الحيوان، واستعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام إلى تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريق الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصبح أقبل معه نسيم، فجعل ذلك كالتنفس له على طريقة الإستعارة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس مع تشبيه النسيم بالأنفاس[2].

وقد أقسم بالصبح حين تنفسه، أي: انشقاق ضوءه، لأن تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم[3].

وقيل: "إن معنى تنفس الصبح، أي أنه إذا أقبل بإقباله رَوح ونسيم فجعل ذلك نفسًا له على المجاز"[4].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ (٢٠١٠)، (١٠٤٠/٢)، مادة (س ك ت).

(٢) التحرير والتنوير (١٣٦/٣٠ – ١٣٧)، يراجع: لسان العرب (٢٣٨/٦)، فصل النون.

(٣) التحرير والتنوير(١٣٧/٣٠)، ويراجع: تيسير التفسير إبراهيم اللقطان(٤١٢/٣).

(٤) الكشاف (١١٨٣/٣٠)، ويراجع: تفسير القرآن الكريم، المقدم محمد أحمد إسماعيل (١٨٨/٤).

وهذه من الاستعارات العجيبة، والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسق الليل، فكأنه متنفس من كرب أو متروح من هَمّ، ومن ذلك قولهم: قد نفس عن فلان الخناق، أي: اتجلى كربه وانفسح قلبه.

وقد يجوز أن يكون "إذا تنفس" أي: إذا انشق وانصدع من قولهم تنفس الإناء إذا انشق، وتنفست القوس إذا انصدعت وهذا التأويل يُخرج اللفظ من باب الاستعارة(١).

"وممكن أن يكون قد استُعير خروج النفس شيئًا فشيئًا، لخروج النور من المشرق، عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً، بجامع التتابع على طريق التدرج وهي استعارة محسوس المحسوس"(٢).

- **تعقيب:**

المعنى المحوري: ضوء أو بياض ينتشر بقوة فيغلب ما يصادفه من ظلام أو سواد، كالبريق من الشعر الأبيض بين غيره، وكالصبح بعد الظلام(٣).

وقد صور لنا القرآن –من خلال مزجه بين حقلي صفات الإنسان، وصفات الظواهر الطبيعية– عملية مجيء الصبح بعد ظلام الليل الدامس، لأن التنفس فعل من أفعال الجوارح التي تخص الإنسان وفعاليات جسمه الحيوية، ولكن بنقله إلى حقل آخر، صور لنا القرآن آلية ظهور نور الصباح، كيف إنها تأتي على مراحل تتميز بالبطئ من جهة وبالانتشار المنتظم من جهة أخرى، ثم إن هذا المعنى يأخذ الذهن إلى أن خروج هذا الضوء من غياهب ظلمة الليل تشابه خروج وظهور علامات الإنفراج

(١) تلخيص البيان، ص٢٧٢، ويراجع: تاج العروس (٥٦٩/١٦).
(٢) أساليب البيان، ص٤٠٠.
(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل (١١٨٨/٣)، مادة (ص ب ح).

والراحة على نفس المكروب بعد تنفيس غمه، بما في ذلك النسيم المميز الذي يرافق ساعات الفجر الأولى.

وهذا التصوير الموحى لا يحققه أي تشبيه آخر، وبالتأكيد فقد أكسبه الدمج بين الحقول الدلالية، معنى الأثر الباقي في نفس السامع والمتلقي.

٣- مثال: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

- التحليل: الصعود: الإذهاب في مكان عال، واستعير لما يصل من العبد إلى الله، والرفع: نقل الشيء من مكان إلى مكان أعلى منه، فالصعود مستعار للبلوغ إلى عظيم القدر، وهو كناية عن القبول لديه(١).

والرفع: حقيقته نقل الجسم من مقره إلى أعلى منه، أي أنه أحد أفعال الجوارح الخاصة بانتقال الأشياء إلى مكان أعلى من محل وجودها الأول، ولكنه هنا استعير للتعبير عن القبول عند عظيم، لأن العظيم تتخيله التصورات رفيع المكان، فيكون كل من (يصعد/ ويرفع) بتعيين قرينتي مكنية بأن شبه جانب القبول عند الله تعالى بمكان مرتفع لا يصله إلا ما يصعد إليه، وإنما جيء من جانب العمل الصالح بالإخبار عنه بجملة (يرفعه) ولم يعطف على (الكلم الطيب) في حكم الصعود إلى الله مع تساوي الخبر بسبب أن الكلم الطيب يتكيف في الهواء، فإسناد الصعود إليه مناسب لماهيته، وأما العمل الصالح فهو كيفيات عارضة لذوات فاعلة ومفعولة، فلا

(١) المفردات، ص٦١٥.

يناسبه إسناد الصعود إليه، وإنما يحسن أن يجعل متعلقًا لرفع يقع عليه ويسخره إلى الإرتفاع[١].

وهذه استعارة وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئًا يوصف بالصعود، ويرتقى من سفال إلى علو، وإنما المراد أن القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله –عزوجل– واصلا إليه سبحانه، بمعنى أنهما يبلغيان رضاه ويتالان زلفاه، وأنه تعالى لا يضيعها ولا يهمل الجزاء عليهما، وهذا كقول القائل لغيره قد ترقى إلى الأمير ما فعلته أي بلغه ذلك على وجهه.

وقيل: إن الله لما كان موصوفًا بالعلو عن طريق الجلال لا على طريق المدى المسافة فكلما يتقرب به عن قول زكي وعمل مرض، فالإخبار عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع على المجاز الإتساع[٢].

- **تعقيب:**

نجد أن القرآن استعار صفة صعود الأشياء، ووصف بها عمل المؤمنين بأن أعمالهم لا تحتاج إلى واسطة لتصل إليه سبحانه بل إنها كمن خلق يملك القدرة على الصعود والوصول إلى الغاية التي يريدها، وهو بذلك مزج بين حقلين دلاليين لأجل الوصول إلى معنى تشترك فيه فيه الأشياء المادية والمعنوية وهو الصعود الذاتي، فالخالق وإن كانت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو العلي العظيم المتكبر القادر القوي، مع كل هذه الصفات وغيرها فهو لم يجعل عبده محتاجًا إلى من يوصل عمله إلى مولاه بل تصل أعماله من تلقاء نفسها لما أودع فيها من قدرة ذاتية على الصعود إلى المقام الجليل.

---

(١) التحرير والتنوير (١٣٠/٢٢).
(٢) تلخيص البيان، ص ١٩٦، ١٩٧.

- المعنى المحوري: ارتفاع بثقل أو تحبُّس كذلك العَقَبة والطريق يرتفع شيئًا فشيئًا، والشراب المذكور تبخر ماؤه قليلاً قليلاً[1].

٤- مثال: قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

- التحليل: الهوى: "ذهاب في انحدار والهوى: ذهاب في ارتفاع"[2]، "وقرئ: تهوى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواء غيره، وتهوى إليهم من هوى يهوى إذا أحب ضمن معنى ننزع"[3]، وقيل إن معنى (تهوى إليه): تُسرع إليهم وتطير نحوهم شوقًا ونزاعًا من قوله: يهوى مخارمها هوى الأجدل"[4].

"وهذه من أحسن الاستعارات" وحقيقته الهوى من علو إلى انخفاض كالهبوط، والمراد به ههنا: البلاغة في صفة الأفئدة بالنزوع إلى المقيمين بذلك المكان، ولو قال سبحانه: نحن إليهم لم يكن فيه من الفائدة ما في قوله سبحانه "تهوى إليهم"؛ لأن الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكانه، والهوى يفيد انزعاج الهاوي من مستقره"[5].

والأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، والمراد هنا: النفس والعقل، والمراد: فاجعل أناساً يهوون إليهم، فأقحم لفظ الأفئدة لإرادة أن يكون مسير الناس إليهم عن شوق ومحبة حتى كأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد فلما ذكر (أفئدة/ لهذه النكتة حسن بيانه بأيهم (من الناس) فـ (من) بيانية "بتعيضية" إذ لا طائل تحته، والمعنى: فاجعل أناسًا يقصدونهم بحبه قلوبهم.

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (١٢٢٤/٣)، باب (صعد).
(٢) المفردات، ص٥٤٥.
(٣) الكشاف (٥٥٣/١٣).
(٤) القراءة في المحتسب (٣٦٤/١)، والكشاف (٥٥٤/١٣)، والبيت ديوان عامر بن الطفيل، باب حرف اللام، ص٩٣، ديوان الهذليين (٩٤/٢).
(٥) تلخيص البيان، ص١٩٨.

تهوي: مضارع هوى بفتح الواو – سقط، وأطلق هنا على الإسراع في المشي استعارة، ولذلك عدى باللام دون (على)، والإسراع: جعل كناية عن المحبة والشوق إلى زيارتهم.

والمقصود من هذا الدعاء: تأنيس مكانهم بتردد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم.

والتنكير مطلق يُحمل على المتعارف في عمران المدن والأسواق بالواردين، فلذلك لم يقيده في الدعاء بما يدل على الكثرة اكتفاء بما هو معروف(١).

- **تعقيب:**

أراد القرآن هنا على لسان سيدنا إبراهيم –عليه السلام– لأولاده، أقصى درجات الحب وأعلى مراتب الدعوى، فهو حب لا يستطيع معه صاحبه البقاء في مكان ومن يحبه في مكان آخر، بل جعل ولشوق يطير بهم طيرانًا إلى الذرية الصالحة وجعلهم كالذي يلقى بنفسه على من يحب تمامًا، كما يتصرف المحب الولة إذا هذه الشوق والحنين لأنه عليه السلام يعلم تمامًا.

أن من لا يتمتع بهكذا حب لأولاده لا يستطيع تحمل مشاق الإقامة بالقرب منهم ومساعدتهم ومساندهم في إقامة الدين وشعائر الله المكلفون باقامتها، فاستعار صفة السقوط وفعل الجارحة (هوى) من حقل وخلعها على قلوب المؤمنين وهما بالطبع من حقل آخر بعيد عن تلك الصفة.

– المعنى المحورى: احتواء المكان على فراغ لا يشغله إلا هذا اللطيفُ المادّة وهو الهواء: كما هو واضح في الاستعمالات المذكورة، ويلزم

(١) التحرير والتنوير (٢٦٤/١٢).

ذلك سقوط الشيء فيه انجذابًا إلى القاع أو الأرض حيث لا مستقَرّ دونها[١].

٥- مثال: قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

- التحليل: "النبت والنبات: ما يخرج من الأرض من الناميات"[٢].

"وهو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها"[٣]، وقيل أنشأها إنشاء صالحًا، وذلك في الخلق ونزاهة الباطن، فشبه إنشاؤها وشبابها، بانبات النبات الغض عن طريق الإستعارة فقد استعار الفعل (أنبت/ الخاص بالنبات إلى موضوع تربية الإنسان وتنشئته، ونبات (مفعول مطلق) لأنبت، وهو مصدر نبت، وإنما أجرى على أنبت للتخفيف[٤].

وقيل: "شبه حاله، في حسن تربيتها – حين أعازها من الشيطان الرحيم، من أول الولادة إلى خاتمة الحياة، ورعايتها بما ينفعها، فيما يصلح في جميع الأوقات، كالصلاح والسداد – بحال الزارع مع زرعه، فإنه ما يزال يتعهد زرعه بالعناية ويحميه من الآفات، فأطلق التركيب الدال على المشبه به، في سبيل الاستعارة التمثيلية"[٥].

"وجوز أن يكون مجازًا مرسلاً بعلاقة اللزوم، فإن الزراع يتعهد زرعه، ويسقيه عند الاحتياج ويقلع ما يخنقه من النبات"[٦].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢٢٧٦/٤)، باب (هوى).
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٦١٧.
(٣) الكشاف (١٧٠/٣).
(٤) التحرير والتنوير (٨٠٨/٣).
(٥) أساليب البيان، ص٦٣٨.
(٦) روح المعاني (١٣٩/٣).

- **تعقيب:**

أفاد الانتقال بين حقل النبات وحقل الإنسان إكساب معنى التربية الحسنة والتنشئة الصالحة معنى أعمق، إذ لو قال أحسن تربيتها أو إحاطتها بعنايته ما أدَّت معنى الإثبات الحسن، لما في الإثبات المتميز بالاهتمام من معاني ثانوية تضاف إلى باقي معاني التربية الصالحة، إذ أن الزارع يعتنى بزرعه منذ كونه بذره قبل غرسها ثم تأخذ منه الاهتمام الكافي حين الإنبات، وهنا أراد القرآن أن يبين لنا أن البيئة التي نشأت فيها (مريم) هي بينة مثالية قلَّ نظيرها كالتربية المثالية للغرس والإنبات ثم إنه تعهد رعايتها، كما يتعّمَد الفلاح زرعه إلى حين نضجه وإيتاء أكله وهذا ما حدث مع مريم -عليها السلام-.

- المعنى المحوري: نَقَاءُ الشيء ورقته بخروج الخَشن أو الغليظ -الذي يخالطه فيَشُوبُ رِقتَه- منه(١).

٦- مثال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩].

- التحليل: الخسران حقيقته ضد الربح، وهو عدم تحصيل التاجر على ما يستفضله من بيعه، ويستفاد لفقدان نفع ما يُرجى منه النفع، ومن هذا المعنى المادي الحسي لفعل الجارحة (خسر)، انطلق المعنى التجريدي، وذلك للدلالة على فقدان الإنسان ما يجري من أعماله وفوائدها في الآخرة، فمعنى (خسروا أنفسهم) فقدوا فوائدها، فإن كل واحد يرجو من مواهبه، وهي مجموعة نفسه، أن تجلب له النفع وتدفع عنه الضر: بالرأى السَّديد، وابتكار العمل المفيد، ونفوس المشركين قد سولت لهم أعمالاً

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/٤٣٠)، باب حسن.

كانت سبب خفة موازين أعمالهم، أي سبب فقد الأعمال الصالحة منهم، فكانت نفوسهم كرأس مال التاجر الذي رجا منه زيادة الرزق، فأضاعه كله فهو خاسر له، فكذلك هؤلاء خسروا أنفسهم، إذ أوقعتهم في العذاب المقيم"[١].

وهذه (استعارة) لأن الخسران في أحد معانيه إنما هو النقص في أثمان المبيعات، وذلك يخص الأموال لا النفوس، إلا أنه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقلها وخفتها، جاء بذكر الخسران بعدها ليكون الكلام متفقًا، وقصص الحال متطابقًا فكأنه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة إذ كانوا يوصفون بأنهم يملكون نفوسهم، كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم، وذكر خسرانهم لها، لأنهم عروضها للخسار، وأوجبوا لها عذاب النار، فصارت في حكم العروض المتلفات، وتجاوزوا حدّ الخسران في الايمان، إلى حد الخسران في الأعيان[٢].

- **تعقيب:**

ليس هناك كلمة أبلغ من كلمة الخسران، تطلق على من سلَّم نفسه وبإرادته في الدنيا إلى عذاب الآخرة، فإتلاف النفس بهذه الكيفية هو بالتأكيد فقدان كلي لها، وخسارة عظيمة للذات، فبدل أن يرتقي بنفسه إلى مراتب عالية من الجنان نزل بها أسفل مرتبة وهي دخول النار وبهذا فقد حقق الانتقال بين هذين الحقلين –حقل الأعيان وخسارتها إلى حقل الإنسان ونفسه دلالة إضافية للفعل (خسر).

(١) التحرير والتنوير (٢٥/٨).
(٢) تلخيص البيان، ص٤١.

٧- مثال: قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤].

- التحليل: "ربط الفرس شدَّهُ بالمكان للحفظ، ومنه رباط الجيش، وسُمِي المكان الذي يُخَصُّ بإقامة حفظه فيه، رباطًا، وفلان رابط الجأش: إذا قوَّى قلبه"(١).

"والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه، فلما شاع إطلاق القلب على الاعتقاد، استعير الربط للتثبيت على عقده، كما قال تعالى في الحديث عن أم موسى لتثبيتها، لتستقر فلا تجزع على ولدها: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠]، ومنه قولهم: هو رابط الجاش، وفي ضده يقال: اضطرب قلبه، وتعديه فعل (ربطنا) بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد، لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل"(٢).

وقيل: إن المراد بذلك: شددنا على قلوبهم، كما تشد الأوعية بالأوكية فتنظم على مكنوناتها ويؤمن التبدد على ما استودع فيها وهذا هو أصل دلالة فعل الجارحة (شَدَّ)، ومنه بدأت لتنطلق إلى معنى أعمق وأدلّ، وهو تثبيت قلوب المؤمنين وتقوية عزائمهم، أي: فشددنا على قلوبهم لئلا تنحل قد صبرها وتهفو عزائم جلدها، ومن ذلك قول القائل لصاحبه: ربط الله قلبك بالصبر (٣).

(١) المفردات، ص١٩٠.
(٢) من وحى القرآن (٣٠٣/١٤).
(٣) تلخيص البيان، ص١٢٣.

- **تعقيب:**

يعبر القرآن هنا عن تثبيت إيمان وقلب المؤمنين بالشد والربط، وبهذا فقد استعار لفظ الربط من حقل دلالي مختلف عن حقل القلب وانفعالاته.

وبهذا فقد صوَّر لنا شدة قلق القلب واضطرابه الذي لولا ربطه وشدة لخرج من مكانه، فقوَّاه سبحانه بالصبر والجلد والثبات.

– المعنى المحوري: شد الشيء أي تثبيته لا يتسيب كالدابة والماء كلٌ في مكانه(١).

٨– مثال: قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:٥].

– التحليل: "سلخ: السلخ نزع جلد الحيوان، يقال: سلحته فانسلخ، وسلخ الشهر وانسلخ"(٢).

وقد استعمل فعل الجارحة (انسلخ في غير ما وُضع له من هذه الآية) وذلك لنقله من حقل إلى آخر، فتبدلت دلالته الأولى وانصرفت إلى دلالة أخرى، فبعد أن كان يدل على سلخ جلد الحيوان، استعيرت هذه الصفة لتطلق على انقضاء الأشهر وتمامها ثم شاع هذا الإطلاق حتى صار حقيقة في هذا المورد.

وانسلاخها: انقضاء المدة المتتابعة منها، وقد بقيت حرمتها ما بقى من المشركين قبيلة، لمصلحة الفريقين، فلما آمن جميع العرب بطل حكم حرمة الأشهر الحرم، لأن حرمة المحارم الإسلامية أغنت عنها، والمقصود هنا: إن حرمة العهد قد زالت(٣).

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢/٧٤٥)، (ربط) بتصرف.
(٢) المفردات، ص٢٤٤.
(٣) الميزان (٩/١٥٤).

وهذه استعارة؛ لأن حقيقة السلخ: إخراج الشيء مما لابسه وخالطه، ألا ترى أنك تقول: سلخت الشاة إذا جردتها من جلدها، ولا تقول: سلخت القميص: إذا نزعته عنك لما لم يكن بينه وبين جسدك ممازجة ولا مخالطة فيجوز أن يكون بمعنى انسلاخ الأشهر الحرم ههنا تجردها من بقية الشهور بانقضائها مجردًا مشهورًا على خلاف بعض الشهور لتتابع الأشهر الحرم في مباديها وخواتمها واشتهارها في هواديها وروافدها فيكون انقضاؤها مشهورًا كما كان ابتداؤها مشهورًا فلفضل شهرتها على بقية الأشهر ووصفت بصفة مخالفة لها وزائدة فقيل: انسلخت ولم يقل انقضت"(١).

- المعنى المحوري:

أخذ صفة السلخ من حقل الحيوان – وهي إخراج الشيء مما لابسه – إلى حقل الجمادات ومنها أشهر السنة، أفاد أن هناك مداخلة وممازجة بين أيام تلك الأشهر، وهذا الأمر واقع فعلاً، ودليله الاختلافات الكثيرة بين الناس.

والمسلمين خاصة في بداية الأشهر القمرية، علمًا بأن بدايتها قد تحكم أفعالاً عبادية في غاية الأهمية، ومنها: صيام شهر رمضان ونهايته وأيام الحج المباركة، فهذا التداخل بين الحقول الدلالية، هنا يدل ويوحي بالتداخل الحاصل بين الأشهر(٢)، وعبَّر القرآن عن انقضاء شهر بأنه: قد انسلخ من الذي بعده، لأن الأيام متداخلة جدًا بحيث يصعب الفصل بينها.

٩- مثال: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

(١) تلخيص البيان، ص٥٧.
(٢) المعجم الاشتقاقي (٣/٣٣٠).

- التحليل: "فرغ: الفراغ خلاف الشغل، وقد فرغ فراغًا وفرغًا وهو فارغ، وافرغت الدلو: صببت ما فيه، ومنه: استعير "أفرغ علينا صبرا"[١].

"وهذه استعارة كأنهم قالوا أمطرنا صبرًا واسقنا صبرًا، وفي قوله أفرغ زيادة فائدة على قوله: انزل، لأن الإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته انصبابه وسرعته"[٢].

لأن الدلالة الأولية للفعل (أفرغ) هي: صب ما في الإناء حتى آخر ما فيه فيصير فارغًا، ثم تطورت هذه الدلالة إلى معنى آخر ليطلق في غير ما وضع له على المبالغة في طلب الصبر والتثبيت عليه.

وهذا هو دعاؤهم حين اللقاء يطلب الصبر من الله، وعبَّروا عن الهامهم الصبر بالإفراغ استعارة لقوة الصبر، فإن القوة والكثرة يتعاوران الألفاظ الدالة عليهما.

فاستعير الإفراغ هنا للكثرة مع التعميم والإحاطة[٣]، حيث شبه إنزال الصبر وإكثاره عليهم، بإفراغ الماء في الفيضان؛ لأن إفراغ الماء هو صبّه بالكلية من الإناء، فيكون عامرًا لما يصب عليه، ثم قيل (افرغ) بدل (انزل) على سبيل الاستعارة التبعية[٤].

وجُعِل الصبر بمنزلة الماء المنصب عليهم لثلج صدورهم واغنائهم عن الماء الذي منعوا منه، فيكون (الصبر) استعارة مكنية (واثبات الإفراغ) تخييل، وجعل إيقاع الإفراغ عليه قرينة الاستعارة المكنية؛ لأن الإفراغ يستعمل في الماء.

---

(١) المفردات، ص٣٩١.
(٢) تلخيص البيان، ص١٤، ويراجع أساليب في القرآن، ص٤٨٤.
(٣) الأمثل (١٥٦/٢).
(٤) أساليب البيان، ص٥٦٧.

وقيل افرغ بمعنى اقض علينا صبرًا يغمرنا، كما يفرغ الماء فـ(افرغ) استعارة تصريحية تبعية، وصبرًا قرينتها، أي هب لنا صبرًا تامًا كثيرًا، وفي كلا الوجهين المبالغة في طلب الصبر على مشاهدة المخاوف(١).

- العلاقة:

يلاحظ أن القرآن استعمل لفظة (أفرغ) للتعبير عن الصبر في دعاء أصحاب جالوت، وهي من حقل بعيد نسبيًا عن حقل الصبر وصفاته، فقد أفاد هذا الاستعمال إضفاء صفات الإفراغ على الصبر الذي تمناه المؤمنون من السرعة والكثرة والسرعة في الانصباب والإحاطة بهم من كل جانب.

١٠- مثال: قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

- التحليل: "السعة: تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجوع ونحو ذلك، ووسع الشيء: اتسع، والوُسْعُ الجدة والطاقة، ويقال: ينفق على قدر وسعه، وأوسع فلان إذا كان له الغنى وصار ذا سعة، وقوله تعالى المتقدم عبارة عن سعة افضاله ورحمته"(٢).

والسعة: مستعملة مجازًا في الإحاطة بكل شيء، لأن الشيء الواسع يكون أكثر إحاطة فوسع كل شيء: وسعة رحمة ربنا كل شيء(٣)، وقيل إن السعة لا توصف بها إلا الأشياء والرحمة عرض من الأعراض، فيكون المراد: إن رحمتي لا تضيف عمن استرحمني بإنابه بعد معصية وتوبة بعد حطة، وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يقنط الجارم أو ييأس المذنب فيحجم عن التوبة ويذهل عن الاستقالة(٤).

---

(١) أساليب البيان، ص٥٣٦.
(٢) المفردات، ص٥٦٠.
(٣) التبيان (٥٥٧/٤).
(٤) تلخيص البيان، ص٥١.

وقيل أيضًا: هما سمة من سمات رحمة الله التي من حال وصفها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص، ألا وهو منقلب في نعمة الله(١).

أي إن: وعد تعريض بحصول الرحمة المسؤولة له ولمن معه من المختارين؛ لأنها لما وسعت كل شيء منهم فهم أرجى الناس بها، وأن العاصين هم أيضًا مغمورون بالرحمة، ومنها رحمة الإمهال والرزق(٢).

وقرأ الحسن: من أساء منكم من الإساءة فسأكتب هذه الرحمة كتبه خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها"(٣).

- العلاقة: استعمل القرآن هنا الانتقال بين الحقول الدلالية لتجسيد المعنى المراد إيصاله إلى المتلقين، وهو هنا يحول الرحمة إلى شيء ملموس تدركه الحواس – وهو عرض الأشياء وسعتها ليدرك العباد أنه رحيم بعباده رحمة واسعة لا تضيق أبدًا مهما بلغ مستحقيها.

١١- مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

- التحليل: حقيقة الوضع: الحط من علو إلى سفل، وهو هنا مجاز في إبطال التكليف بالأعمال الشاقة، فاستعير (يضع عنهم) هنا إلى

(١) الكشاف (٣٩٠/٩).
(٢) جوامع البيان (٤٧٥/١).
(٣) مجمع البيان (٤٨٦/٢).

إزالة التكليفات التي هي كالاصر والأغلال فيشمل الوضع معنى النسخ(١).

الأصر: الثقل يأصر صاحبه، أي يحبسه من الحراك لثقله، وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال مثل لما كانوا في شرائعهم من الأشياء نحو: من القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وغير ذلك(٢).

وعلى هذا يكون (ويضع عنهم أصرهم) تمثيلية بتشبيه حال المزال عنه ما يخرجه من التكاليف بحال من كان محملاً بثقل فأزيل عن ظهره ثقله وبهذا فهو أحد أفعال الجوارح التي تطورت دلالتها من مجرد الحط من علو إلى سفل إلى تخفيف الأحكام الشرعية عن المكلفين؛ وإن لم يكن كذلك كان "الاصر" استعارة مكنية (ويضع / تخييلا) وهو أيضًا استعارة تبعية للإزالة(٣).

- العلاقة: أوجد القرآن الكريم من خلال حقلين دلاليين مختلفيين –حقل الأثقال وكيفية إزالتها، وحقل التكاليف الشرعية – علاقة خفية وإن كانت محسوسة، وهي تشبيه حال من خففت عنه الأحكام الشرعية بحال من كان مقيدًا بأثقال كان محملاً بها، وفقد مع وجودها قدرته على الحراك، ثم أزيلت وطرحت عنه، كيف أنه استردَّ حريته وراحته بعد تلك الإزالة.

(١) السابق (٢٠٨٦/٢).
(٢) الكشاف (٣٩٠/٩).
(٣) التبيان (٤٧٥/١).

الخاتمـــة

وفي نهاية هذا البحث أعرج سريعًا إلى ما توصلت إليه من نتائج لهذا البحث، ومنها:

١- الحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، فلا يفهم معاني مفردات التقديرات: ممتاز، جيد جدًا، جيد، مقبول إلا بمقارنتها ببعضها.

٢- كلما كثرت المفردات في الحقل قلت مساحة كل منها، وكلما قلت زادت مساحة معنى كل منها.

٣- كل لغة لها نظام وعدد من المقردات لتغطية الحقول المفهومية: قارن حقل الضمائر المنفصلة في العربية والإنجليزية.

٤- إن الكلمات داخل الحقل الواحد ليست ذات وضع متساو؛ لأن من أهم مميزات الحقول أنها تنقسم إلى أقسام، وكل حقل منها يحتوي على المجموعة التي تخصُّه، ثم تدخل تحت كل قسم من الأقسام أقسام صغرى تتفرع عن الكبيرة.

٥- هناك كلمات أساسية أو مفاهيم مركزية بالنسبة للحقول الدلالية تتحكم في التقابلات الهامة داخل الحقل وأخرى هامشية، تزودنا بالبنية الداخلية لهذه الحقول كـ الفضاء والزمن والكم والعلة.

٦- يختلف حجم الحقول الدلالية وحيّزها المكاني باختلاف مجالات واهتمامات الإنسان، ويعد مجال الكائنات والأشياء من أكبر المجالات، ويليه مجال الأحداث، ويتبعه المجردات، وفي آخر المراتب ما يتصل ويرتبط بالعلاقات.

٧- هناك اتجاهات متعددة حول افتراض وجود أُطر مشتركة أساسية للتصورات والمفاهيم بين لغات البشر، إذ تتقاسم اللغات جميعها عددًا من التصورات التي يصح أن تدعي تصنيفات ومفاهيم دلالية عالمية مثل حيّ، وغير حيّ، وحسي ومعنوي وبشري وغير بشري، وهو منهج مطبَّق في التحليل التكويني للمعنى.

٨- تعد نظرية الحقول الدلالية من أبرز نظريات علم الدلالة لما تكتسبه من أهمية بالغة في الدراسات اللغوية واللسانيات الحديثة.

٩- إن النظرية لم تحصر فقط في اللغة وإنما استثمرها العلماء في مختلف المجالات لتطوير أفكارهم ونظرياتهم.

١٠- تنوع العلاقات الدلالية بين ألفاظ الحقول الدلالية من علاقة ترادف وعلاقة الاشتمال، الجزء، الكل، التضاد.

١١- للجانب الدلالي أهمية كبيرة في فهم النصوص اللغوية وهذا ما سهَّل للباحث والدارس اللغوي في السير بكل سهولة في دراساته المختلفة.

١٢- إن موضوع أفعال الجوارح من الموضوعات الأكثر انتشارًا في النصوص اللغوية والقرآن الكريم.

١٣- استعمال أفعال الجوارح ذو تأثير كبير في التطور الدلالي للغة العربية.

١٤- هناك كثير من أفعال الجوارح حدث فيها انتقال دلالي مثل الفعل (سكت) انتقل معناه من مجرد ترك الكلام إلى معنى الثورة والتحريض المؤثر.

١٥- يؤثر السياق بشكل كبير في استعمال أفعال الجوارح وخاصة مواطن ورود الأفعال؛ فقد يتغير معنى الفعل ذاته بالسياقات التي تحكمه مثل الفعل ضرب، ومسك وغيرهما.

١٦- أثبت البحث أن هناك إمكانية لامتزاج الحقول الدلالية، بمعنى أن ينتقل مفردات تلك الحقول المختلفة والبعيدة بعضها عن بعض ولهذا تأثيره على منهج التطور الدلالي.

١٧- تداخل الحقول الدلالية يؤدي إلى إضفاء صفات الأجسام المادية على الأمور المعنوية أي تجسيد المعنويات على شكل محسوسات ملموسة كالغضب يسكن، والصبح يتنفس، والإنسان يثبت وهكذا.

١٨- استقراء ألفاظ الجوارح في القرآن الكريم وتصنيفها في مجموعات دلالية خاصة لكل حاسة وجارحة على حدة.

١٩- يسير تطوُّر الدلالات اللغوية لألفاظ المعجم على الأغلب من المعنى المحسوس إلى المعنى المجرّد.

٢٠- تواكب الدلالات المجازية للمفردة الدلالات الحقيقية في أهميتها وهذا من جماليات هذه اللغة.

٢١- اتفاق اللغويين في الدلالات المعنوية لألفاظ الجوارح، فيما يجعله اللغويون من باب المجاز.

- **التوصيات:**

توصى الدراسة بتتبع أفعال الجوارح ودراستها في مختلف فنون التعبير المختلفة وذلك لأهمية الموضوع وأثره المباشر في تطور منهج العربية الدلالي ولإضافته لنوعية المتميزة لذلك التطور.

وأخيرًا نسأل الله عزوجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. إخوان الصفا، درس وعرض وتحليل، عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ (١٩٨١م).

٢. أصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢ (١٩٨٥م).

٣. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، ط٢ (١٩٧٩م).

٤. الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢ (١٩٨١م).

٥. إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، نور الهدي لوشن، دراسة دلالية، إشراف ميشال باريو، دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر (١٩٩٠م)، مخطوط.

٦. تلخيص البيان في مجازات القرآن، حققه وقدّم له وصنع فهارسه: محمد عبدالغني حسن، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (١٣٧٤هـ=١٩٥٥م).

٧. جمهرة الأمثال للعسكري، دار الجيل، بيروت، ط٢ (١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

٨. الحيوان للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢.

٩. درعيات أبي العلاء، شلواي عمَّار، الألفاظ الخاصة بالإنسان وحياته الاجتماعية والاقتصادية، إشراف د. عبدالله بو خلخال، معهد اللغة

العربيـة وآدابهـا، جامعـة قسـطنطينة، رسـالة ماجسـتير (١٩٩٥م)، مخطوط.

١٠. دروس فـي الألسـنية العامـة، فرديناند دي سوسـير، تعريـب صـالح الفرمـاوي، محمـد الشـاوش، محمـد عجينـة، الـدار العربيـة للكتـاب (١٩٨٥م).

١١. دلالـة الألفـاظ، د. إبـراهيم أنـيس، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، ط٣ (١٩٧٢م).

١٢. دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث محمد عز الدين توفيق، دار السلام، مصر، ط٢ (١٤١٨هـ=١٩٨١م).

١٣. علم الدلالة عند العرب عادل الفاخوري، دار الطليعة، بيروت، ط١ (١٩٨٥م).

١٤. علم الدلالة، جرمان كلود وريمون لويلات، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق (١٩٩٤م).

١٥. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة (١٩٨٨م).

١٦. فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

١٧. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية، مقارنة وعرض لمنهج العربية، الأصيل في التحديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، ط٧ (١٩٧١م).

١٨. كتاب الشجر والنبات، للأصمعي، تحقيق: د. عبدالله يوسف النديم، ط١، مطبعة المدني، القاهرة (١٩٧٢م).

١٩. الكشـاف عـن حقـائق وغـوامض التنزيـل وعيـون الأقاويـل فـي وجـوه التأويـل، للزمخشري، أبوالقاسم جـار الله محمود بـن عمر بـن محمـد،

رتبه وضبطه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٥هـ=١٩٩٥م).

٢٠. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية (د.ت).

٢١. اللغة لفندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة (١٩٥٠م).

٢٢. اللغة والحواس، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، يحيي جبر، نابلس (١٩٩٩م).

٢٣. مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (١٩٩٤م).

٢٤. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط١ (١٩٨٦م).

٢٥. المخصص ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت.

٢٦. المدخل إلى الفلسفة، دراسة موجزة ومبسطة لتأريخ وتطور الفلسفة، صدام الزيادي، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٤١٠هـ=١٩٨٩م).

٢٧. مدخل إلى علم الدلالة، سالم شاكر، ترجمة محمد يحياتن، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر (١٩٩٢م).

٢٨. مدخل فقه العربية، أحمد محمد قدور، دار الفكر، المعاصر، بيروت، ط١ (١٩٩٣م).

٢٩. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، شرح وتصحيح وعنوان وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء التراث العربي، مطبعة عيسى البابي وشركاه بمصر.

٣٠. مصادر اللغة، بلعيد صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (١٩٨٤م).
٣١. المعجم العربي نشأته وتطوره حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط٢ (١٩٦٨م).
٣٢. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العام لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (١٩٨٣م).
٣٣. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وينستك، لندن، مطبعة بريل (١٩٦٧م).
٣٤. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر (١٩٧٩م).
٣٥. مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت.
٣٦. منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، دكتور سعيد باسل، دار الكتاب اللبناني، بيروت (١٣٥٧هـ=١٩٣٨م).
٣٧. نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية، حلام الجيلالي، مجلة المنهل، المملكة العربية السعودية، العدد (٥٥٠)، المجلد (٦٠) (١٩٩٨م).
٣٨. مواقع الإنترنت، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .www.google.com